الفصل الأول

تاريخ الدعوة وتطورها

ويشتمل على مقدمة ، وأربعة مباحث :

١ ـ الدعوة قبل الإسلام .

٢ ـ الدعوة في زمن الرسول ﷺ ، وزمن خلفائه الراشدين .

٣ ـ الدعوة في زمن الأمويين والعباسيين والعثمانيين .

٤ ـ الدعوة في العصر الحديث .

مقدمة بين يدي تاريخ الدعوة

قبل الحديث عن تاريخ الدعوة ، تَحسُن الإشارة إلى عدة أمور :

أ ـ لقد تعددت مناهج الباحثين في تاريخ الدعوة في تحديد بدء الدعوة ، فمنهم من يجعلها تبتدئ من بعثة محمد ﷺ ، وذلك ملاحظة للمعنى الخاص للدعوة الإسلامية .

ومنهم من يرجعها إلى بعثة الأنبياء والرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام ، وذلك ملاحظة للمعنى العام للدعوة الإسلامية ، إذ دعوة الرسل الكرام واحدة ، والرسل جميعاً قد جاءوا بالإسلام بمعناه العام .

ولايُعدُّ هذا خلافاً مادام يعود إلى اعتماد أحد المعنيين لهذا الإسلام : المعنى العام أو المعنى الخاص ، ولكن الذي أراه وأعتمده :

أنه حيث تطلق كلمة الدعوة إلى الله من غير قيد ، فإن تاريخها يشمل دعوة الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام ، ويبدأ من أول رسالة أرسلت للناس .

وحيث تُقيدُ بالدعوة الإسلامية ، فإن تاريخها يبدأ من بعثة نبينا محمد ﷺ . عملاً بالعموم والخصوص .

ب ـ إنه إذا ما بدأت بعض كتب تاريخ الدعوة بدعوة « نوح » عليه السلام ، فلأنه أول رسول حدثنا عَنْ دعوته القرآن ، أما (آدم) عليه السلام فلم يرسل لأحد [1] ، وإنما أنزل إلى هذه الأرض لتبدأ قصة حياة

---

(١) انظر عَرْضاً مفيداً لما قيل في التفريق بين الرسل والأنبياء ، في كتاب « تاريخ الأنبياء » للأستاذ الدكتور : محمد الطيب النجار ص (١٣ ـ ١٦) .

الإنسان فيها واستخلافه في الأرض ـ كما أشارت إلى ذلك الآيات القرآنية ـ ولم نقف على أثرٍ عَمليٍّ لنبوّة آدم عليه السلام ، إلا فيما حدثنا عنه القرآن في قصة أولاده « هابيل وقابيل » حيث قَرّبا القربان وجرى بينهما الحوار الذي ينبئ بإيمان أحدهما وصلاحه ، وبغفلة الآخر وخسرانه . قال تعالى :

﴿ واتْلُ عليهم نَبأ ابنَيْ آدمَ بالحق ، إذ قَرّبا قُرباناً فَتُقُبِّلَ من أحدهما ، ولم يُتَقبَّل من الآخر ، قال لأقْتُلَنّك ، قال : إنما يتقبل الله من المُتّقين * لئن بَسَطْتَ إليَّ يدكَ لتقتُلَني ، ما أنا بباسطٍ يَدِيَ إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين ... الآيات ﴾[1] .

جـ ـ عند الحديث عن تاريخ الدعوة ، ولاسيما في المدخل ، لايُراد عَرْضُ تاريخ الدعوة والدعاة تفصيلاً لما جرى من أحداث ، وبياناً لتراجم الدعاة وسيرتهم ، وإنما نقتصر الكلام في المدخل على الخطوط العريضة للحركة الدعوية على مدى العصور والأزمان ، تبييناً لزمن الدعوات ، وأشهر رجالاتها ، وأبرز ملامحها ، وأهم نتائجها ...

أما تفصيل الأحداث التاريخية ، وبيان سيرة الدعاة السابقين ، فتتكفل ببيانها مختلف كتب التاريخ الإسلامي ، وكتب السيرة النبوية ، وكتب التراجم والرجال ...

د ـ الكتب التي تعرضت لتاريخ الدعوة تفصيلاً كثيرة جداً في القديم والحديث ، يمكن لأي باحث في تاريخ الدعوة الرجوع إليها كمصْدَرٍ من مصادر البحث ،

---

(١) الآيات / ٢٧ ـ ٣١ / من سورة المائدة .

ولعل من أهم الكتب الحديثة في ذلك :

مقدمة العلوم والمناهج لأنور الجندي ، وحاضر العالم الإسلامي لشكيب أرسلان ، وحاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة للدكتور جميل عبد الله محمد المصري ، والإسلام الفاتح للدكتور حسين مؤنس ، وتاريخ الدعوة للدكتور جمعة الخولي ، وتاريخ الأنبياء للدكتور محمد الطيب النجار ، والدعوة الإسلامية في عهدها المدني للدكتور رؤوف شلبي ، والدعوة الإسلامية بين التنظيم الحكومي والتشريع الديني للدكتور عبد الغفار عزيز ، ودعوة الرسل لمحمد العدوي ، والمنهج الحركي للسيرة النبوية لمحمد منير الغضبان ...

هـ ـ ونظراً لأوجه التشابه والترابط في الحركة الدعوية وملامحها ونتائجها على مدى العصور والأزمان ، رأيت تقسيم تاريخ الدعوة في هذا المدخل إلى أربعة عهود ، هي :

١ ـ الدعوة قبل الإسلام .

٢ ـ الدعوة زمن رسول الله ﷺ ، وزمن خلفائه الراشدين .

٣ ـ الدعوة زمن الأمويين والعباسيين والعثمانيين .

٤ ـ الدعوة في العصر الحديث .

* * *

المبحث الأول

١ ـ الدعوة قبل الإسلام :

(وتبدأ من رسالة نوح عليه السلام ، وتنتهي برسالة عيسى عليه السلام)

ويبدأ تاريخها بدعوة نوح عليه السلام ، أول رسول حدثنا القرآن عن دعوته ورسالته ، فقال سبحانه :

﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرُه ، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ... الآيات ﴾ (١) .

كما تحدثت عن دعوته سورة كاملة من سور القرآن الكريم عرفت بسورة نوح ، عرضَت لنا جانباً من أسلوبه عليه السلام في الدعوة ، وتدرجه فيها ، وإسراره وإعلانه في دعوته ، وصبره على قومه زمناً طويلاً ، حيث كان أكثر المعمَّرين من الرسل والأنبياء الذين عرفناهم فعاش ألف سنة إلا خمسين عاماً .

قال تعالى :

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ، فَلَبِثَ فيهم ألفَ سنة إلا خَمسينَ عاماً ، فأخذَهُم الطوفانُ وهم ظالمون ﴾ (٢) .

فلما يئس منهم دعا ربه فقال :

---

(١) الآيات / ٥٩ ـ ٦٤ / من سورة الأعراف .

(٢) الآية / ١٤ / من سورة العنكبوت .

﴿ قال رب إن قومي كَذَّبون ، فافْتَحْ بيني وبَيْنهم فتحاً ، ونَجِّني ومَنْ مَعِيَ من المؤمنين ﴾ (١) .

فأمره الله بصنع السفينة ، ونجاه ومن معه ، وكانت عاقبة قومه الإغراق ... قال تعالى :

﴿ وأوحِيَ إلى نوح أنَّه لن يؤمنَ من قومك إلا مَنْ قد آمن ، فلا تَبتئِسْ بما كانوا يفعلون ، واصنع الفُلْكَ بأعْيُننا ووَحْينا ، ولاتُخاطِبْني في الذين ظَلَموا إنهم مُغْرقون ... الآيات ﴾ (٢) .

ثم يأتي « هود » عليه السلام ، فيقوم بدعوة قومه كما فعل نوح عليه السلام ، قال تعالى :

﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ، قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، أفلا تتقون ... ﴾ (٣) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى جانب من أسلوب دعوته ، وذكر بعضاً من أقواله لقومه ، فقال سبحانه :

﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه : إنا لَنَراكَ في سَفاهةٍ ، وإنا لَنظُنُّكَ من الكاذبين ، قال ياقومِ لَيْسَ بي سَفاهةٌ ، ولكنّي رسولٌ من رب العالمين ... الآيات ﴾ (٤) .

---

(١) الآيات / ١١٧ ـ ١١٨ / من سورة الشعراء .

(٢) الآيات / ٣٦ ـ ٤٨ / من سورة هود عليه السلام .

(٣) الآية / ٦٥ / من سورة الأعراف .

(٤) الآيات / ٦٦ ـ ٧٢ / من سورة الأعراف .

فما كان من قومه إلا الإعراض والتكذيب ، قال تعالى :

﴿ قالوا ياهودُ ماجِئْتَنا ببيِّنةٍ ، وما نَحْنُ بتاركي آلهتِنا عن قولك ، وما نحن لك بمؤمنين ، إنْ نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، قال : إني أُشهِدُ الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دُونِه ، فكيدوني جميعاً ثم لاتُنظِرون ... الآيات ﴾ (١) .

ولما اشتدت به الحال دعا ربه فقال : ﴿ قال رب انصرني بما كَذَّبون ﴾ (٢) فاستجاب الله له وقال : ﴿ قال عما قليل لَيُصْبِحُنَّ نادمين ﴾ (٣) ونفذ وعيد الله بهم ، قال تعالى :

﴿ وأما عادٌ ، فأُهلِكوا بريح صَرْصَرٍ عاتية ، سَخَّرها عليهم سبعَ ليال وثمانيةَ أيام حُسوماً ، فَتَرى القوم فيها صَرْعى كأنهم أعجاز نَخْل خاوية ، فهل تَرى لهم من باقية ﴾ (٤) .

ثم جاء « صالح » عليه السلام بدعوته إلى قومه ، قال تعالى :

﴿ وإلى ثَمودَ أخاهمُ صالحاً ، قال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرُه ، هو أنشأكم من الأرض واستَعْمَرَكُم فيها ، فاستغفروه ثم توبوا إليه ، إن ربي قريبٌ مجيب ﴾ (٥) .

فأعرضوا عن دعوته ، وجادلوه فيها بالباطل ، قال تعالى :

﴿قالوا ياصالحُ قد كنتَ فينا مَرْجواً قبل هذا ، أَتَنْهانا

(١) الآيات / ٥٣ ـ ٥٨ / من سورة هود عليه السلام .

(٢) الآية / ٣٩ / من سورة المؤمنون .

(٣) الآية / ٤٠ / من سورة المؤمنون .

(٤) الآيات / ٦ ـ ٨ / من سورة الحاقة .

(٥) الآية / ٦١ / من سورة هود عليه السلام .

أن نعبد مايَعْبُدُ آباؤنا ، وإننا لفي شكٍ مما تدعونا إليه مريب ، الآيات ... ﴾ (١) .

حتى طالبوه بالمعجزة وهي إخراج الناقة من الصخر ، فأيده الله بها ، ولكن مازادهم ذلك إلا إعراضاً وتكذيباً ، وعقروا الناقة وعَتَوا عن أمر ربهم ... قال تعالى :

﴿ وياقومِ هذه ناقةُ الله لكم آيةً فَذَروها تَأكلْ في أرْضِ الله ، ولاتَمسُّوها بسوء فَيأخُذَكُم عذابٌ قريب ، فَعَقَروها ، فقال : تَمتَّعوا في داركم ثلثة أيام ، ذلك وَعْدٌ غيرُ مَكْذوب ﴾ (٢) .

ولم يكتفوا بذلك بل قالوا : ﴿ ائتنا بما تَعِدُنا إن كُنتَ من المرسَلين ﴾ (٣) فجاءهم عذاب الله فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، قال تعالى :

﴿ فلمّا جاء أمْرُنا نَجَّينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ، ومن خِزْي يَوْمئذ ، إن ربَّكَ هو القوي العزيز ، وأخذَ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، كأن لم يَغْنَوا فيها ، ألا إن ثمودَ كفروا ربهم ، ألا بُعداً لثمود ﴾ (٤) .

ثم جاء « إبراهيم » عليه السلام قومه بمثل ماجاء به الرسل السابقون ، قال تعالى :

---

(١) الآيات / ٦٢ ـ ٦٣ / من سورة هود عليه السلام .

(٢) الآيات / ٦٤ ـ ٦٥ / من سورة هود عليه السلام .

(٣) الآية / ٧٧ / من سورة الأعراف .

(٤) الآيات / ٦٦ ـ ٦٨ / من سورة هود عليه السلام .

﴿ واتْلُ عليهم نَبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقَوْمه ماتَعبدون ... الآيات ﴾ [1] .

وعرض القرآن كثيراً من حواره مع أبيه وقومه ، وبين جانباً من أسلوب دعوته ، وكيده لأصنام قومه ، كما عرض تكذيب قومه له وإيذاءَهم له ، وتهديدهم له بالتحريق ، وفعلوا ، ولكن الله نجاه منهم ، قال تعالى :

﴿ ولقد آتينا إبراهيم رُشْدَهُ من قَبْلُ وكُنّا به عالمِين * إذْ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيلُ التي أنتم لها عاكفون ...الآيات ﴾ [2] .

ثم رحل إبراهيم عليه السلام من العراق إلى فلسطين مع زوجه « سارة » وابن أخيه « لوط » عليه السلام ، قال تعالى :

﴿ فآمَنَ له لوطٌ ، وقال إنّي مُهاجِرٌ إلى ربي ، إنه هو العزيز الحكيم ﴾ [3] .

ومَرَّ إبراهيم عليه السلام بابتلاءات عظيمة فما كان منه إلا الثبات والصدق ، وأمره الله ببناء الكعبة ، ولم تذكر الآيات القرآنية وفاة إبراهيم عليه السلام ، ولا عاقبة قومه ، وإنما ركزت على سيرته القدوة ، وابتلاءاته وصبره ، وإكرام الله له بنجاته واستجابة دعائه [4] ...

---

(١) انظر الآيات / ٦٩ ـ ٨٩ / من سورة الشعراء ، وانظر/ ٧٤ ـ ٨٣ / من سورة الأنعام ، و / ٢٥٨ / من سورة البقرة .

(٢) الآيات / ٥١ ـ ٧٠ / من سورة الأنبياء .

(٣) الآية / ٢٦ / من سورة العنكبوت .

(٤) انظر الآيات / ٢٧ / من سورة إبراهيم عليه السلام ، و / ٢٧ ـ ٢٨ / من سورة الحج ، و / ٣٥ ـ ٤١ / من سورة إبراهيم عليه السلام .

ثم جاء « لوط » عليه السلام قومه ، فدعاهم إلى عبادة الله ، ونهاهم عن المعاصي والفواحش التي انتشرت بينهم ، فما كان منهم إلا التكذيب ، وهَمُّوا بإخراجه من قريته ، متحدّين أن يأتيهم بعذاب ، فأنجاه الله منهم ، وأمطر على قومه حجارة فقضت عليهم ، قال تعالى :

﴿ ولوطاً إذ قال لقومه : أتأتونَ الفاحشةَ ماسَبَقكم بها من أَحَدٍ من العالمين * إنكم لتأتون الرجالَ شَهْوةً من دون النساء ، بل أنتم قومٌ مُسْرفون * وما كان جوابَ قومه إلا أَنْ قالوا : أَخرِجُوهم مِنْ قَرْيتكم ، إنَّهم أُناسٌ يتَطهَّرون * فأنْجيناه وأهلَه إلا امرأتَه كانت من الغابِرين * وأَمْطرنا عليهم مَطَراً فانْظرْ كيف كان عاقبةُ المجرمين ﴾ (١) .

ثم جاءت دعوة « يوسف » عليه السلام ، التي لم يحدثنا القرآن الكريم عن تفصيلاتها ، وإنما اكتفى بالإشارة إليها بمثل قوله تعالى :

﴿ ولقد جاءكم يوسُفُ من قَبْلُ بالبيّنات ، فما زِلْتم في شَكٍّ مما جاءكم به ، حتى إذا هَلَكَ قلتم لن يَبْعثَ الله من بَعْدِه رسولاً ، كذلك يُضِلُّ الله من هو مُسْرِفٌ مُرْتاب ﴾ (٢) .

وإنما ركز القرآن الكريم على سيرة يوسف عليه السلام الخاصة ، وبيان مالاقاه من حسد إخوته وكيدهم له ، وما جَرَّ عليه ذلك من ابتلاءات

---

(١) الآيات / ٨٠ ـ ٨٤ / من سورة الأعراف ، وانظر الآيات / ٧٨ ـ ٨٢ / من سورة هود عليه السلام ، وانظر الآيات / ٥١ ـ ٧٦ / من سورة الحجر .

(٢) الآية / ٣٤ / من سورة غافر .

في شبابه ، فكان مثال التقوى والصبر ، وذلك لتكون حياته درساً وعبرة ، كما نرى في سورة « يوسف » عليه السلام التي سميت باسمه ، والتي ختمها الله عز وجل بقوله :

﴿ لقد كان في قَصَصهم عبرةٌ لأولي الألباب ، ماكان حديثاً يُفترى ، ولكن تَصْديقَ الذي بين يَديْه ، وتفصيلَ كل شيء ، وهُدَى ورحمةً لقوم يؤمنون ﴾ (١) .

ثم جاءت دعوة « شعيب عليه السلام » ، فدعا قومه إلى عبادة الله وترك المنكرات والإفساد في الأرض ، قال تعالى :

﴿ وإلى مَدْيَنَ أخاهم شعيباً ، قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرُه ، قد جاءتكم بَيِّنَةٌ من ربكم ، فأوفوا الكيلَ والميزانَ ولاتَبْخَسوا الناس أشياءَهم ، ولاتُفسدوا في الأرض بَعْدَ إصلاحها ، ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين * ولاتَقْعدوا بكل صراط توعِدُون وتَصُدّون عن سبيل الله من آمن به ، وتَبْغونها عِوَجاً ، واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثّركم ، وانظروا كيف كان عاقبةُ المفسدين ، وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أُرْسلتُ به ، وطائفة لم يؤمنوا ، فاصبروا حتى يَحْكُمَ الله بَيْننا وهو خير الحاكمين ﴾ (٢) .

فوقف منه قومه موقف الاستهزاء والسخرية ، فرد عليهم بهدوء

---

(١) الآية / ١١١ / من سورة يوسف عليه السلام .

(٢) الآيات / ٨٥ ـ ٨٧ / من سورة الأعراف .

وحلم وذكّرهم بمصير من سبقهم ، قال تعالى :

﴿ قالوا ياشعيبُ أصَلواتك تأمُرك أن نَترُكَ مايعبدُ آباؤنا ، أو أن نَفْعَلَ في أموالنا مانشاء ، إنك لأنتَ الحليمُ الرشيد * قال ياقوم أرأيتُم إن كنتُ على بيّنة من ربي ورَزَقَني منه رزقاً حسناً ، وما أُريدُ أَنْ أُخالِفَكم إلى ماأنهاكم عنه ، إنْ أريدُ إلا الإصلاحَ مااستطعتُ ، وما تَوْفيقي إلا بالله ، عليه توكلتُ وإليه أُنيب * وياقوم لايَجْرِمَنَّكم شِقاقي أَنْ يُصيبَكم مِثْلُ ماأصابَ قومَ نوح أو قومَ هود أو قومَ صالح * وما قومُ لوطٍ منكم ببَعيد * واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، إن ربي رحيم وَدود ﴾ (١) .

فما زادهم إلا إصراراً على باطلهم ، وهددوه بالإخراج ، فدعا عليهم ، قال تعالى :

﴿قال الملأُ الذينَ استَكْبروا من قومه لنُخْرِجَنَّكَ ياشعيبُ والذين آمنوا مَعك من قَرْيتنا ، أو لتعودُنَّ في ملّتِنا . .الآيات ﴾ (٢) .

فأخذهم عذاب يوم الظلة ، قال تعالى :

﴿ كَذَّبَ أصحابُ الأَيْكةِ المرسَلين * إذ قال لهم شعيبٌ ألا تَتَّقون * إني لكم رسول أمين ... الآيات ﴾ إلى أن قال :

﴿ قالوا : إنما أنت من المُسَحَّرين * ماأنتَ إلا بشرٌ مثْلُنا ، وإن نظنك لمن الكاذبين * فَأَسْقِطْ علينا كِسَفاً من السماء إنْ كنت

---

(١) الآيات / ٨٧ ـ ٩٠ / من سورة هود عليه السلام .

من الصادقين * قال ربي أعلَمُ بما تعملون * فكذَّبوه فأخذَهم عذابُ يوم الظُّلَّة * إنه عذابَ يوم عظيم * إنَّ في ذلك لآيةً ، وما كان أكثرُهم مؤمنين ... ﴾ (١) .

ونَجَّى الله شعيباً والذين آمنوا معه ، فقال :

﴿ ولما جاء أمْرُنا نجيّنا شعيباً والذين آمنوا معه برحمةٍ منا ، وأخَذَت الذينَ ظَلَموا الصيحةُ فأصْبحوا في ديارهم جاثِمين * كأن لم يَغْنوا فيها ،ألا بُعداً لمَدْينَ كما بَعِدَتْ ثمود ﴾ (٢) .

ثم أرسل الله « موسى » عليه السلام ، وأنزل عليه التوراة ، بعد أن نشأ في بيت فرعون ، فأرسله الله إلى بني إسرائيل ، وشد عضده بأخيه « هارون » عليه السلام ، قال تعالى :

﴿ فلمّا قَضى موسى الأجلَ وسار بأهْله ، آنسَ من جانب الطور ناراً ، قال لأهله امكثوا إني آنسْتُ ناراً لعلّي آتيكم منها بخَبَرٍ أو جَذْوة من النار لعلكم تَصْطلون * فلمّا أتاها نوديَ من شاطِئ الوادي الأيْمنِ في البُقْعةِ المباركة من الشجرة : أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين ... الآيات إلى قوله :أنتما ومن اتّبعَكُما الغالبون ﴾ (٣) .

كما أمرهما الله عز وجل بالذهاب إلى (فرعون) ودعوته فقال :

---

(١) الآيات / ١٨٥ ـ ١٩٠ / من سورة الشعراء .

(٢) الآيات / ٩٤ ـ ٩٥ / من سورة هود عليه السلام .

(٣) الآيات / ٢٩ ـ ٣٥ / من سورة القصص .

﴿ اذْهَبا إلى فِرْعون إنه طغى * فقُولا له قولاً لَيِّناً لعلّه يتذكَّرُ أو يَخْشى الآيات ... ﴾ (١) .

وقد ذكر القرآن الكريم جانباً من حوار موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون ، فقال سبحانه :

﴿ قال فَمَنْ ربكما ياموسى ، قال ربُّنا الذي أعطى كل شيء خَلْقَه ثم هَدى ، قال : فما بَالُ القرون الأولى ؟ قال : علمُها عند ربي في كتابٍ لايَضِلُّ ربي ولايَنْسى * الذي جعلَ لكم الأرضَ مَهْداً وسلك لكم فيها سُبلاً ، وأنْزلَ من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شَتّى * كلوا وَارْعَوا أَنْعامَكُم إنَّ في ذلك لآيات لأولي النُّهى ... إلى أن قال :

قال أجِئْتَنا لتُخْرِجَنا من أرْضِنا بِسِحْرك ياموسى * فَلَنأْتينَّكَ بِسِحْرٍ مِثْله * فاجْعَلْ بيننا وبينَك مَوْعداً لانُخلِفُه نحنُ ولا أنت مكاناً سُوى * قال مَوْعِدكم يومُ الزينة وأنْ يُحْشَرَ الناسُ ضُحى ... الآيات ﴾ (٢) .

ولما جاءوا إلى الموعد ، نصره الله ، وآمن معه السحرة ، قال تعالى :

﴿ فألْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً ، قالوا آمنا بِربِّ هارونَ وموسى *

---

(١) الآيات / ٤٣ ـ ٤٨ / من سورة طه .

(٢) الآيات / ٤٩ ـ ٦٤ / من سورة طه ، وانظر / ٣٦ ـ ٤٠ / من سورة القصص ، و / ١٨ ـ ٢١ / الشعراء .

قال آمنتم له قَبْلَ أنْ آذنَ لكم ، إنَّه لكبيرُكُم الذي عَلَّمكم السِّحر ، لأُقَطِّعَنَّ أيديَكم وأرجلكم من خِلاف ، ولأُصَلِّبَنَّكُم في جُذوع النَّخْل ، ولتَعلَمُن أيُّنا أشَدُّ عَذاباً وأَبقَىٰ . الآيات ...﴾ [1] .

ولما اشتد طغيان قوم موسى أخذهم الله بعذاب أليم فأرسل عليهم أنواعاً عديدة من العذاب ، قال تعالى :

﴿ ولقد أخَذْنا آل فرعونَ بالسِّنين ونَقْصٍ من الثَّمرات لعلهم يَذَّكَّرون * فإذا جاءتهم الحسنةُ قالوا لنا هذه * وإن تُصبهم سيئةٌ يَطَّيَّروا بموسى ومَنْ مَعه * ألا إنّما طائرُهم عند الله ، ولكنَّ أكثرَ الناس لايعلمون * وقالوا : مَهْما تَأْتِنا به من آيةٍ لتَسْحَرَنا بها فما نَحنُ لك بمؤمنين * فأرْسلنا عليهم الطوفانَ والجراد والقُمَّل والضفادع * والدَّمَ آياتٍ مفصلاتٍ ، فاستَكْبَروا وكانوا قوماً مُجرمين ... ﴾ [2] .

ولما ضاق بآل فرعونَ الأمر ، لجأوا إليه يطلبون كشف الضر وقالوا :

﴿ ياموسى ادْعُ لنا ربَّكَ بما عَهِدَ عِنْدك لئن كَشَفْتَ عنَّا الرِّجْزَ لنُؤمنَنَّ لك * ولَنُرْسِلَنَّ معكَ بني إسرائيل * فلما كَشَفْنا عنهم الرِّجْزَ إلى أجَلٍ هم بالغوه إذا هم يَنْكُثون ﴾ [3] .

ثم أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يخرج بمن آمن معه من

---

(١) الآيات / ٧٠ ـ ٧٦ / من سورة طه .

(٢) الآيات / ١٣٠ ـ ١٣٣ / من سورة الأعراف .

(٣) الآيات / ١٣٤ ـ ١٣٥ / من سورة الأعراف .

مِصرَ ، فخرجوا وتبعهم فرعون بجنوده ، قال تعالى :

﴿ ولقد أَوْحينا إلى موسى أنْ أَسْرِ بعبَادي ، فَاضْرِب لهم طريقاً في البَحْر يَبَساً ، لاتَخافُ دَركاً ولا تَخْشى ، فَأَتْبَعهم فرعونُ بجنوده فَغَشِيَهُم من اليَمِّ ماغَشِيَهم ، وأَضَلَّ فرعونُ قَوَمه وما هَدى ﴾ (١) .

ومَرَّ موسى عليه السلام بابتلاءات كثيرة ، ولاقى من قومه مالاقى ، فعبدوا العجل ، وآذوه بالكلام فيه ، وبطلبهم رؤية الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بذلك ، ثم أحياهم الله ، قال تعالى :

﴿ وإذْ واعَدْنا موسى أربعينَ ليلةً ، ثُمَّ اتَّخَذْتم العِجْلَ مِنْ بعده وأنتم ظالمون ، ثم عَفَوْنا عنكم من بعد ذلك لعلكم تَشْكرون ... الآيات إلى قوله : وإذ قُلْتُم يامـوسى لَنْ نُؤمِنَ لكَ حتى نَرى الله جهرةً فَأَخَذَتْكُم الصاعقةُ وأنْتم تَنْظُرون * ثم بَعَثْناكم من بعد موتكم لعلَّكم تَشكرون ... الآيات ﴾ (٢) .

وهكذا حتى قضى هارون وموسى عليهما السلام ، بعد أن حملا الرسالة وأدّيا الأمانة ، قال تعالى :

﴿ ولقد مَنَنَّا على موسى وهارون ، ونَجَّيناهما وقومَهما من الكَرْب العظيم ، ونَصَرْناهم فكانوا هم الغالبين ، وآتيناهما الكتابَ المُسْتَبين ، وهَدَيْناهما الصراطَ المستقيم ، وتَرَكْنا عليهما في

---

(١) الآيات / ٧٧ ـ ٧٩ / من سورة طه .

(٢) الآيات / ٥١ ـ ٧٤ / من سورة البقرة .

الآخِرين ، سَلامٌ على موسى وهارون ، إنّا كذلك نَجْزِي المُحسِنين ، إنّهما من عبادنا المؤمنين ﴾ [1] .

ثم توالت الأنبياء على بني إسرائيل إلى أن جاء داود عليه السلام .

فقام « داود » عليه السلام بدعوته ، وآتاه الله « الزبور » قال تعالى : ﴿ وآتينا داودَ زَبوراً ﴾ [2] ولقد أكرم الله داود عليه السلام بأمور عديدة منها : حسن الصوت ، حتى أصبح يُضرب بحسن صوته المثل . وألان له الحديد ، وجعل الجبال والطير تردد معه تسبيحه ... قال تعالى :

﴿ واذكر عَبْدنا داودَ ، ذا الأيْدِ إنّه أوّاب * إنا سَخّرنا الجبالَ معه يُسَبِّحْنَ بالعَشِيِّ والإشراق * والطيرَ محشورةً كُلٌّ له أوّاب * وشَدَدْنا مُلكه وآتيناه الحكمةَ وفَصْلَ الخطاب ﴾ [3] .

ولم يذكر القرآن تفصيلاً لدعوته وموقف قومه منه .

ثم جاء ولده « سليمان » عليه السلام ، وقام بدعوته ، إلا أنه لم يذكر القرآن الكريم أيضاً لنا شيئاً عن دعوته ، وعن موقف قومه منه ، وإنما ذكر بعض الخصائص والمعجزات التي أيده الله بها ، قال تعالى :

﴿ ولسليمانَ الريحَ غُدُوُّها شهرٌ ورَواحُها شهرٌ ، وأسَلْنا له عينَ القِطر ، ومن الجِنّ من يَعْمَلُ بين يَدَيْه بإذن ربه ، ومن يَزِغْ

(١) الآيات / ١١٤ ـ ١٢٢ / من سورة الصافات .

(٢) الآية / ١٦٣ / من سورة النساء .

(٣) الآيات /١٧ ـ ٢٠/ من سورة ص ، وانظر/ ١٠ / من سورة سبأ ، و/ ٧٩ / من سورة الأنبياء .

منهم عَنْ أَمْرنا نُذِقْه من عذاب السعير * يَعْمَلونَ له مايَشاءُ من مَحاريبَ وتماثيلَ وجِفانٍ كالجواب ، وقُدورٍ راسيات ، اعملوا آل داودَ شكراً ، وقَليلٌ من عِباديَ الشكور ...الآيات ﴾ (١) . وتوالت الأنبياء فجاء « أيوب ويونس » عليهما السلام .

ثم جاء « عيسى عليه السلام » وكانت ولادته آية من آيات الله ، قال تعالى :

﴿ إنَّ مَثَل عيسى عند الله كمثل آدم ، خَلَقَهُ من ترابٍ ثم قال له كُنْ فَيكون ﴾ (٢) . وآتاه الله الإنجيل ، فدعا بني إسرائيل إلى التوحيد ، قال تعالى :

﴿ وقَفَّيْنا على آثارهم بعيسى بن مريم مُصَدِّقاً لما بين يديه من التوراة ، وآتيناهُ الإنجيلَ فيه هُدىً ونورٌ ، مُصَدِّقاً لما بين يديه من التوراة ، وهدىً وموعظةً للمتقين ﴾ (٣) .

وقد عرض القرآن الكريم جانباً من دعوة عيسى عليه السلام ، وذكر بعض حواراته مع قومه ، فقال تعالى :

﴿ ولما جاء عيسى بالبَيِّنات قال : قد جئتكم بالحِكْمة ، ولأُبَيِّنَ لكم بَعْضَ الذي تَختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون * إن الله هو ربّي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مُستقيم * فاخْتَلَفَ الأحزابُ

---

(١) الآيات / ١٢ ـ ١٤ / من سورة سبأ ، وانظر / ٣٧ ـ ٤٢ / من سورة ص .

(٢) الآيات / ٥٩ / من سورة آل عمران .

(٣) الآية / ٤٦ / من سورة المائدة .

من بَيْنِهم * فَوَيْلٌ للذين ظَلَموا من عذابِ يوم أليم ﴾ [1] .

وقد آتى الله رسوله عيسى عليه السلام معجزات كثيرة باهرة ، عددها القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أنّي قد جِئتُكم بآيةٍ من ربكم * أنّي أخْلُقُ لكم من الطّين كهيئة الطير ، فأنفخُ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأُبْرِئُ الأكمهَ والأبرص وأُحْيي الموتى بإذن الله * وأُنَبِّئكم بما تأكلون وماتَدَّخِرونَ في بيوتكم ، إنَّ في ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين ... الآيات ﴾ [2] .

واستمر عيسى عليه السلام في دعوته حتى كادوا له ومكروا به ، فأنجاه الله ورفعه إليه ، قال تعالى :

﴿ ومكَروا ومَكَر اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين * إذْ قال الله ياعيسى إني مُتَوفّيك ورافِعُك إليّ ومُطَهِّرُكَ من الذين كفروا ، وجاعلُ الذين اتّبعوك فوقَ الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إليَّ مَرْجِعُكم فأحْكمُ بينكم فيما كنتم فيه تَخْتلفون ﴾ [3] .

وقد بين القرآن والسنة أنه سينزل ثانية في آخر الزمان ليحكم بشريعة الإسلام ، ويؤمن به كل من كان موجوداً حينئذ من أهل الكتاب قال تعالى :

---

(١) الآيات / ٦٣ ـ ٦٥/ من سورة الزخرف ، وانظر/ ٥٢ / من سورة آل عمران ، و / ١١٢ ـ ١١٥ / من سورة المائدة ، و / ٦ / من سورة الصف .

(٢) الآيات / ٤٩ ـ ٥٣ / من سورة آل عمران .

(٣) الآيات / ٥٤ ـ ٥٥ / من سورة آل عمران ، وانظر / ١٥٧ ـ ١٥٨ / من سورة النساء .

﴿ وإنْ مِنْ أهْل الكتاب إلا ليؤمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْته ، ويومَ القيامة يكونُ عليهم شهيداً ﴾ (١) .

وقد تواترت الأحاديث النبوية الواردة بنزوله في آخر الزمان . فجاء في الحديث المتفق عليه :

« والذي نفسي بيده ، ليوشِكَن أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً عَدْلاً فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويَضَع الحرب (وفي رواية الجزية) ، ويَفيضَ المال حتى لايقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة : واقرؤا إن شئتم : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمِنَنَّ به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » (٢) .

وكانت رسالة عيسى عليه السلام آخر رسالة قبل رسالة الإسلام ، وكان موكبه آخر موكب من مواكب الدعوة إلى الله قبل بعثة رسولنا ﷺ ، وعلى جميع رسله وأنبيائه أجمعين .

وبهذا ينتهي العرض السريع المجمل لسير الدعوة إلى الله قبل الإسلام ، على يد الرسل عليهم الصلاة والسلام ، الذين حدثنا القرآن عنهم وعن دعوتهم ، وختم حديثه عنهم في سورة الأنعام بقوله :

﴿ أولئك الذين هَدى الله ، فَبِهُداهم اقْتَدِه ... ﴾ (٣) .

---

(١) الآية / ١٥٩ / من سورة النساء ، وانظر تفسير القرطبي لهذه الآية (٦/ ١٠ ـ ١١) المجلد الثالث .

(٢) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٦/ ٤٩٠ ـ ٤٩١) ورقم (٣٤٤٨) . وصحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠) . وراجع كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » للكشميري .

(٣) الآية / ٩٠ / من سورة الأنعام .

خاتمة للمبحث الأول :

عن الملامح العامة لسير الدعوة قبل الإسلام :

يمكن للمتتبع لسير الدعوة قبل الإسلام ، والناظر في سيرة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً أن يستخلص بعض الملامح العامة لهذه المرحلة من مراحل الدعوة ، من ذلك :

١ ـ اتفاق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على الدعوة إلى الملة الواحدة القائمة على توحيد الله عز وجل ، ومحاربة الكفر والشرك ، والأمر بالطاعات ، والنهي عن المحرمات ... فكلهم يدعون إلى الله عز وجل ، ويرمون في دعوتهم عن قوس واحدة ، قال تعالى :

﴿ إنّا أَوْحَيْنا إليكَ كما أَوْحَيْنا إلى نوحٍ والنبيينَ من بَعْدِه ، وأَوْحينا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وعيسى وأيوبَ ويونُسَ وهارونَ ، وسليمان ، وآتينا داودَ زبوراً * ورسلاً قد قَصَصْناهم عليك من قَبْلُ ، ورسلاً لم نَقْصُصْهم عليك ، وكَلَّمَ الله موسى تَكْليماً * رُسُلاً مبشِّرين ومُنْذِرينَ لِئَلا يكونَ للناس على الله حجةٌ بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ [١] .

---

(١) الآيات / ١٦٣ ـ ١٦٥ / من سورة النساء .

٢ ـ كانت تلك الرسالات السابقة محليةً إقليمية ، فكان كل رسول يبعث إلى قوم معينين ، وكانت رسالاتهم تعالج حاجات عصورهم ، وتلبي متطلبات مجتمعاتهم ، إذ تختلف الحاجات ، وتتنوع المتطلبات ، قال تعالى :

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنا منكم شِرْعَةً ومِنْهاجاً ﴾ (١) وقال : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هم ناسكوه ﴾ (٢) . والحكمة كل الحكمة أن تتناسب الرسالات مع حاجات المرسل إليهم ، وليس في هذا أي عيب أو قصور .

٣ ـ جرت سنة الله عز وجل في الأمم السابقة بنجاة المؤمنين ، وتدمير الكافرين واستئصالهم في كثير من الأحيان ـ عندما يعرضون ويصرون على إعراضهم وتكذيبهم ـ كما رأينا في العرض السابق لتلك الرسالات ، وفي هذا يقول الله عز وجل :

﴿ ولقد أرْسلْنا إلى أُمَم من قَبْلِك ، فأخَذْناهم بالبَأْساء والضَّرّاء لعلّهم يَتَضَرَّعون * فلولا إذْ جاءَهم بَأْسُنا تضرَّعوا ، ولكِنْ قَسَتْ قلوبُهم ، وزَيَّنَ لهم الشيطانُ ماكانوا يعملون * فلمّا نَسُوا ماذُكِّروا به ، فَتَحْنا عليهم أبوابَ كل شيء ، حتى إذا فَرِحوا بما أوتوا أخَذْناهم بَغْتةً فإذا هم مُبْلِسون ﴾ (٣) .

وقال أيضاً :

---

(١) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ٦٧ / من سورة الحج .

(٣) الآيات / ٤٢ ـ ٤٤ / من سورة الأنعام .

﴿ وما أرسلْنا من قَبْلكَ إلا رجالاً نُوحي إليهم من أهْل القُرى ، أفلم يسيروا في الأرض فَيَنْظُروا كيف كان عاقبةُ الذين من قَبْلِهم ، ولَدارُ الآخرة خيرٌ للذين اتقوا أَفَلا تَعقلون * حتى إذا اسْتَيْأسَ الرسلُ ، وظَنُّوا أنهم قد كُذِبوا جاءهم نَصْرُنا ، فَنُجِّيَ من نَشاء ، ولا يُرَدُّ بأسُنا عن القوم المجرمين ﴾ (١) .

٤ ـ اختلف أسلوب القرآن الكريم في عرض الرسالات السابقة ، وسير دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم ، فمن تفصيل إلى إجمال ، ومن تكرار لبعض المواقف في مواطن عدة من سور القرآن الكريم ، ومن تَركيزٍ أحياناً على سيرة النبي والرسول وخصائصه ، ومن عَرضٍ أحياناً للأساليب الدعوية ، والوسائل المستخدمة في بعض الدعوات ، وهكذا بحسب حكمة الله عز وجل في ذلك ، ولله الحكمة البالغة .

فعلى الدعاة أن يركزوا جهودهم للاستفادة مما عُرِضَ من دروس وعبر ، وأن لايهتموا بالبحث عما أغفل ذكره القرآن والسنة في مراجع غير موثوقة في مثل هذه الأمور الهامة ، فإن فيما عرضه الله في كتابه ، وبيَّنهُ رسوله ﷺ في سنته عنهم كفايةً للمستفيد وعظةً للمتعظ .

٥ ـ جرت سنة الله عز وجل أن يؤيد رسله الكرام بخوارق ومعجزات ليؤمن من يؤمن ، وتقام الحجة على الكافرين والمنكرين ...

فكانت ناقة صالح عليه السلام ، وعصا موسى عليه السلام ،

---

(١) الآيات / ١٠٩ ـ ١١٠ / من سورة يوسف عليه السلام .

ومعجزات عيسى عليه السلام وغيرها مما سبقت الإشارة إليه .

إلا أن معظم المعجزات التي جاءت في الأمم السابقة كانت حسية مادية ، تنتهي في وقتها ، ولايشاهدها إلا من حضرها ، خلافاً لبعض معجزاتِ نبينا محمد ﷺ ، ولاسيما معجزة القرآن الكريم .

وفي هذا يقول الإمام السيوطي رحمه الله :

« اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدّي ، سالم عن المعارضة ، وهي إما حسية وإمّا عقلية ، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية ، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية ، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة ، خُصّت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر »[1] .

٦ ـ كان الخط البياني لقبول الدعوة في الرسالات السابقة متأرجحاً بين الصعود والهبوط ، فلا استجابة مطلقة ، ولا إعراضاً دائماً ، وهذه هي سنة الله في هذه الحياة ، ولو شاء الله لجعل الناس جميعاً يستجيبون لدعوته ، ولكن شاءت حكمته أن يدوم الصراع بين الخير والشر ، وأن يستمر الابتلاء في هذه الحياة للدعاة والمدعوين ، ليميز الخبيث من الطيب ، ويبوئ من شاء الجنة ، ويملأ بمن شاء جهنم ...

قال تعالى :

﴿ ولو شاءَ ربُّكَ لجَعَلَ الناسَ أمةً واحدة ، ولايزالون مُخْتلفين إلا من رَحِمَ ربُّكَ ، ولذلكَ خَلَقَهم ، وتَمَّتْ كلمةُ ربك لأملأنَّ

(١) انظر « الإتقان في علوم القرآن » للسيوطي (١١٧/٢) .

جهنَّمَ من الجِنَّةِ والناس أجمعين ﴾ [1] .

إلى غير ذلك من ملامح عامة لدعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام [2] .

* * *

(١) الآيات / ١١٨ ـ ١١٩ / من سورة هود عليه السلام .

(٢) قف على فوائد عديدة في دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، في كتاب « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله » للشيخ محمد سرور بن نايف زين العابدين ، وكتاب « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل » للشيخ الدكتور : ربيع بن هادي المدخلي ... وغيرها .

المبحث الثاني

الدعوة زمن الرسول ﷺ، وزمن خلفائه الراشدين ﷺ

وينقسم هذا المبحث إلى قسمين :

أ ـ **القسم الأول** : الدعوة زمن الرسول ﷺ .

ب ـ **القسم الثاني** : الدعوة زمن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم .

وقد جعلتُ القسمين في مبحث واحد مراعاةً للإجمال في عرض العصور التاريخية ـ كما فعلت في المبحث الأول من جهة ، وكما سأفعل في المبحث الثالث أيضاً ـ ونظراً للارتباط الوثيق بين العهدين من جهة أخرى ، وذلك لأن عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم يُعَدُّ في حقيقته امتداداً لعهد رسول الله ﷺ في الدعوة ، إذ أن سنتهم متّبعة كسنة رسول الله ﷺ ، وسيرتهم تطبيق عملي لسنته وسيرته ﷺ ...

وحسبنا في تأكيد ذلك قوله ﷺ :

« أوصيكم بتقوى الله ، والسَّمْعِ والطاعة وإن تَأَمَّر عليكم عبدٌ ، وإنَّهُ من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسُنَّتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضّوا عليها بالنواجذ ... الحديث »[1] .

لذا رأيت أن أعرض كل قسم مستقلاً ، ثم أختمه ببعض الملامح العامة إن شاء الله .

---

(١) الحديث رواه أبو داود والترمذي وقال عنه : حديث حسن صحيح ، انظر سنن أبي داود (٤٦٠٧) وسنن الترمذي (٢٩٧٨) .

١ ـ الدعوة زمن الرسول ﷺ :

بدأت الدعوة الإسلامية منذ بعثته ﷺ ، حيث جاءه الوحي ، وأنزل الله عليه قوله : ﴿ يا أيها المُدَّثِّر * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فكَبِّر * وثيابَك فَطَهِّر * والرُجْزَ فاهجُر * ولاَتَمْنُنْ تَسْتَكثِر * ولربِّك فاصبِر ﴾ (١) .

فدعا رسول الله ﷺ الأقرب فالأقرب من حوله ، فكان أول من أسلم معه من النساء : زوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، ومن الرجال : أبو بكر رضي الله عنه ، ومن الصبيان : علي بن أبي طالب ﷺ ومن الرقيق : زيد بن حارثة رضي الله عنه (٢) ...

ثم تتابع إسلام عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وطلحة بن عُبيد الله ، وأبي عبيدة بن الجراح ، والأرقم ابن الأرقم وغيرهم رضوان الله عليهم جميعاً .

وبدأ المسلمون يجتمعون برسول الله ﷺ في دار الأرقم ابن أبي الأرقم يتلقون عنه مانزل من القرآن ، ويأخذون عنه هدي الإسلام العظيم ، ويرعاهم رسول الله ﷺ بالتربية الصالحة والتزكية الطاهرة ...

وبعد ثلاث سنوات من هذه الدعوة الفردية السرّية نزل قوله تعالى : ﴿ فاصْدَعْ بما تُؤمَر ، وأَعْرِضْ عن المشركين ﴾ (٣) .

---

(١) الآيات / ١ ـ ٧ / من سورة المدثر .

(٢) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٠ ـ ٢٤٦) ، وزاد المعاد (٢/ ٤٨) .

(٣) الآية / ٩٤ / من سورة الحجر .

فقام ﷺ يدعو الناس من حوله ، فصعد الصفا ونادى الناس لينذرهم ويبشرهم [1] ...

جاء في الحديث المتفق عليه :

« عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية : « وأنذر عشيرتك الأقربين »[2] ورهطَكَ منهم المخلصين [3] ، خرج رسول الله ﷺ حتى صعدَ الصفا ، فهتف : ياصَباحاه ، فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟ قالوا : محمد ، فاجتمعوا إليه فقال :

يابني فلان ، يابني فلان ، يابني فلان ، يابني عبد مناف ، يابني عبد المطلب ، فاجتمعوا إليه ، فقال : « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل ، أكنتم مُصَدقي ؟ قالوا : ماجربنا عليك كذبا ، قال : إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، قال : فقال أبو لهب : تباً لك أما جَمَعتنا إلا لهذا ، ثم قال : فنزلت هذه السورة ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ [4] وقد تَبَّ »[5] .

وعندما بدأت مرحلة الجهر هذه ، قابله قومه بالعداء الشديد ، فانطلقت أول صيحة عداء تجاهه من عمه أبي لهب بقوله « تباً لك ، أما

---

(١) انظر « سيرة ابن هشام » (٢٦٢/١) .

(٢) الآية / ٢١٤ / من سورة الشعراء .

(٣) هكذا وردت في صحيح الإمام مسلم ، قال الإمام النووي : « فظاهر هذه العبارة أن قوله « ورهطك منهم المخلصين » كان قرآناً أنزل ثم نسخت تلاوته ، ولم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري) ا . هـ ، انظر شرح مسلم (٨٢/٣ ـ ٨٣) .

(٤) الآية / ١ / من سورة المسَد .

(٥) الحديث رواه البخاري ومسلم ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٣٦٠/٨ و ٤٠٠ و ٦٠٨ و ٦٠٩) وانظر « صحيح مسلم مع شرح النووي » : (٨٣/٣) .

جمعتنا إلا لهذا » كما مر معنا في الحديث السابق ، ثم تتابع العذاب على رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ، ولولا أن هيأ الله له عمه أبا طالب ليدافع عنه ويحميه من قومه ، لأصابه ماأصاب عدداً من أصحابه : كياسر ، وعمار ، وسمية ، وبلال ، وعامر بن فهيرة وغيرهم رضوان الله عليهم ، فصبروا جميعاً أمام أشد أنواع العذاب والتنكيل ، ولم يسلم رسول الله ﷺ من ذلك في بعض الأحيان [1] .

ولما اشتد على المسلمين الأمر ، وَجَّه رسول الله ﷺ أصحابه إلى الهجرة إلى الحبشة ، وقال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكاً لايُظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ... »[2] .

واستمرت الشدة ، حتى هم قومه ﷺ بقتله ، فبلغ ذلك عَمَّه أبا طالب ، فجمع بني هاشم وبني عبد المطلب وأدخلوا رسول الله ﷺ في شِعْبهم ليحفظوه من القتل ، وأخذوا يتناوبون على حراسته ﷺ .

فغضبت لذلك قريش ، فاجتمع بعض زعمائها وائتمروا على أن يكتبوا كتاباً على بني هاشم ، وبني عبد المطلب يُجْمعون فيه على مقاطعة رسول الله ﷺ ومن معه في الشعب مقاطعة اجتماعية واقتصادية ، حتى يخضعوا ويُسلموا لهم رسولَ الله ﷺ ، وعَلّقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، فانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب مسلمهم وكافرهم إلى أبي طالب ، ودخلوا معه الشعب وأقاموا فيه سنتين أو ثلاث ، حتى أصابهم الجهد الشديد ، ثم يَسَّرَ الله بعض الرجال للسعي في نقض هذه الصحيفة ،

---

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح (١٦٥/٧) رقم (٣٨٥٤) .

(٢) انظر « سيرة ابن هشام » (٣٢١/١ و ٣٣٤ ـ ٣٣٧) .

وحَلّ هذه الشدة ... »[1] .

ثم زاد الأمر شدة على رسول الله ﷺ لما مات أبو طالب ، وتبعته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بعد أيام ، وكان عام الحزن ...[2]

فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يطلب النصرة من ثقيف ، فردوه شر رَدٍّ ، وحرضوا عليه وآذوه ، فرجع إلى مكة مُسْتَضْعَفاً ...[3]

ويقي الرسول عليه الصلاة والسلام مع أصحابه على هذه الحال من الشدة ثلاثة عشر عاماً حتى أذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة ، وهيأ لهم فيها الأسباب ...[4]

وتمت الهجرة ، وبدأت في المدينة المنورة مرحلةً جديدة من مراحل الدعوة الإسلامية ، حيث قوي المسلمون بمن دخل في الإسلام ، وبمن ناصرهم في المدينة المنورة ، فقامت لهم دولتهم ، وأذن الله لهم فيها بقتال عدوهم بعد أن كان يأمرهم في مكة بكف أيديهم ، وبالصبر والمصابرة ...

وكان أول إعلان رسمي لشعائر العبادة في المدينة ، ببناء « مسجد قباء » والصلاة فيه ، ثم ببناء « مسجد الرسول ﷺ » .

وبدأت الخطوات العملية لإقامة أول دولة إسلامية على وجه الأرض ، وذلك على أسس ثابتة متينة من الأخوة الإسلامية الصادقة ، والنظام الواضح ، والدستور البيّن ، وعلى الأرض الطيبة ، « المدينة المنورة » وكتب رسول الله ﷺ الوثيقة التاريخية التي وضحت العلاقة بين المسلمين :

---

(١) انظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٣٥٠ ـ ٣٨١) .

(٢) انظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٤١٥ ـ ٤١٨) .

(٣) انظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٤١٩ ـ ٤٢١) .

(٤) انظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٤٢٨ ـ ٤٦٧) .

المهاجرين والأنصار من جهة ، وبين المسلمين وغيرهم في مجتمع المدينة من جهة أخرى [1]. فاكتملت للمسلمين بذلك الأركان الأساسية للدولة .

وبدأ العمل بعد ذلك على عدة محاور :

١ ـ نشر الدعوة الإسلامية بين الناس ، وتعليم المسلمين أمور دينهم ، والعمل على تربيتهم وتزكيتهم على هدي الإسلام .

٢ ـ مواجهة الأعداء وإعلان الحرب على الكافرين المحاربين ، والعمل على التخلص منهم ...

٣ ـ تطبيق الأحكام الشرعية على جميع المستويات الفردية والجماعية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤ ـ التخطيط لتوسيع رقعة الدولة المسلمة ، ونشر رسالة الإسلام ، عن طريق إرسال الرسل والبعثات ، واستقبال الوفود ، ومكاتبة الزعماء والحكام ، وتجهيز الجيوش ...

وقد ملئت كتب السيرة والسنة بتفصيلات هذه الأعمال ، فتحدثت عن أعمال التبليغ ونشر الدعوة ، والاهتمام بالعلم والتعليم ...كما عرضت غزوات الرسول ﷺ وسراياه الكثيرة التي وصل عددها إلى/ ٢٧ / غزوة ، و / ٣٨ / سرية وبعث ...[2]

كما تحدثت عن تنزيل الآيات القرآنية ، وبيان أسباب النزول ، وتقرير الأحكام الشرعية وتتابعها ، سواء كانت في جانب العقيدة أو العبادة ، أو المعاملة ، أو الحدود أو الجهاد ، أو كانت في جانب الأخلاق

---

(١) انظر كتاب « الوثائق السياسية » جمع وتحقيق الأستاذ محمد حميد الله ص : (٥٩ ـ ٦٢) .

(٢) انظر « سيرة ابن هشام » (٤/٢٥٦ ـ ٢٥٧) .

والسلوك ... حتى تُوِّج ذلك [1] بقوله تعالى :

﴿ اليومَ أكْمَلْتُ لكم دينَكم ، وأتْمَمْتُ عليكم نِعْمتي ، ورَضِيتُ لكم الإسلام ديناً ﴾ [2] .

كما عرضت كُتُبَ النبي ﷺ ورسائله التي التي بلغت أكثر من خمسين كتاباً ، حتى أفردها بعضهم في كتب خاصة [3] .

كما ذكرت رُسُلَ رسولِ الله ﷺ إلى الآفاق دعاةً معلمين ، وعاملين في الصدقات ... [4]

وذكرت الوفودَ التي وَفَدت على رسول الله ﷺ في المدينة حتى زاد عددها عن خمسة عشر وفداً ، وسميت سنة تِسْع من الهجرة « بسنة الوفود » لكثرة ما وفَدَ فيها من وفود [5] .

كما تحدثت عن تجهيز الجيوش وتوجيهها إلى أنحاء الجزيرة وخارجها ، كما حدث بعد فتح مكة المكرمة من غزوة مؤتة ، وتبوك ، وتجهيز جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه ، وتوجيهه إلى أن يُوطئ الخيلَ تخومَ البلقاء والداروم من أرض فلسطين ... [6]

---

(١) انظر « تفسير القرطبي » المجلد (٣/٦١ ـ ٦٣) .

(٢) الآية / ٣ / من سورة المائدة .

(٣) راجع كتاب « إعلام السائلين ، عن كتب سيد المرسلين ﷺ » للإمام محمد بن طولون الدمشقي ، تحقيق : محمود الأرناؤوط ، ومراجعة عبد القادر الأرناؤوط ، ط : مؤسسة الرسالة .

(٤) انظر « سيرة ابن هشام » (٤/٢٤٦) .

(٥) انظر « سيرة ابن هشام » (٤/٢٠٥ ـ وما بعدها) .

(٦) انظر « سيرة ابن هشام » (٤/١٥ ـ ١٥٩ ـ ٢٥٣ ـ ٢٩١) .

وهكذا مَرَّ موكب الدعوة الإسلامية في زمنه ﷺ حتى وافى رسولَ الله ﷺ الأجل ، ولحق بالرفيق الأعلى بعد أن بلَّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء .

* * *

خاتمة في الملامح العامة للدعوة في زمنه ﷺ :

أ ـ الملامح العامة في العهد المكي :

يمكن للباحث في سير الدعوة الإسلامية في العهد المكي أن يقف على بعض الملامح العامة فيها ، فمن ذلك :

١ ـ الاهتمام بتبليغ الدعوة ، ونشرها سراً وجهراً ، بدءاً بالأقرب فالأقرب ، إنقاذاً للناس من الضلالة إلى الهدى ، وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور .

٢ ـ الاهتمام بتربية من استجاب للدعوة ، والعمل على تزكيتهم وتربيتهم على هدي الإسلام ، لبناء قاعدة إسلامية صلبة للدولة المسلمة ، وذلك عن طريق :

أ ـ تعليمهم دينهم ،

ب ـ وتطبيق الإسلام في حياتهم .

جـ ـ وتعميق معاني الأخوة فيما بينهم .

د ـ والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

٣ ـ الحرص على عدم المواجهة للأعداء بالقوة والاكتفاء بمواجهتهم بجهاد الدعوة ، قال تعالى :

﴿ وجاهِدْهُم به جِهَاداً كبيراً ﴾ [١] ، وذلك على الرغم من أذى الأعداء ، واستفزازاتهم المتكررة للمؤمنين ، موازنةً بين الإمكانات

---

(١) الآية / ٥٢ / من سورة الفرقان .

والواجبات ، وتَرْكِ المواجهة بالقوة إلى مرحلة مناسبة أخرى ، بل وصل الأمر إلى أن يصف رسول الله ﷺ بعض صحابته بالاستعجال في الأمور ، عندما شكوا إليه مايلاقون ، وطلبوا أن يدعو الله لهم بالفرج ، ففي الحديث الشريف :

« عن أبي عبد الله خَبّاب بن الأرَتّ رضي الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ ، وهو متوسد بُرْدَةً له في ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصرُ لنا ، ألا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيُجعلُ فيها ، ثم يؤتى بالمنشار ، فيوضَعُ على رأسه ، فيجعل نِصفين ، ويُمشَطُ بأمشاط الحديد مادونَ لحمه وعظمه ، مايَصدُّه ذلك عن دينه . والله ليُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاءَ إلى حضرموت ، لايخاف إلا الله ، والذئبَ على غنمه ، ولكِنَّكُم تستعجلون »[1] .

٤ ـ الحركة بالدعوة ، وعدم الجمود بها على مكان نشأتها ، فقد توجه ﷺ نحو الطائف ، ثم هاجر إلى المدينة المنورة عندما استعصت عليه مكة المكرمة ،

٥ ـ استمرار العمل والتخطيط لمستقبل الدعوة ، كما فعل ﷺ فأرسل الرسل إلى المدينة المنورة ، وأخذ البيعة من أهل العقبة ، وأمر بالهجرة وخطط لها ، ثم نفذ كل ذلك تنفيذاً دقيقاً ... وذلك

---

(١) الحديث رواه البخاري انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٦١٩/٦) برقم (٣٦١٢) . وانظر رقم (٣٨٥٢) ورقم (٦٩٤٣) ، كما رواه أبو داود انظر رقم (٢٦٤٩) ورواه النسائي ، انظر(٢٠٤/٨) .

أخذاً بالأسباب ، وموازنة بين الأخذ بها وبين الاتكال على الله والاعتماد عليه وحده .

إلى غير ذلك من ملامح ...

ب ـ الملامح العامة في العهد المدني :

كما يمكن للباحث الوقوف على بعض ملامح العهد المدني ، فمن ذلك :

١ ـ الاهتمام بمتابعة عملية التبليغ للدعوة ، والتربية والتزكية للمستجيبين لها ، وذلك عن طريق تلاوة آيات القرآن على الناس ، وتزكيتهم ، وتعليمهم الكتاب والحكمة ، والاهتمام ببناء المساجد وإعمارها ، وعقد الأخوة الخاصة بين المهاجرين والأنصار ، وتوثيق الصلات بينهم ...

٢ ـ الحرص على إقامة الدولة المسلمة عند اكتمال أركانها الثلاثة « أ ـ القاعدة الصلبة من المؤمنين ، ب ـ والأرض الملائمة ، جـ ـ والنظام الواضح » ، لأنها أكبر دعامة للدعوة ، وأهم مؤسسة رسمية من مؤسساتها ، قال تعالى :

﴿ الذين إنْ مَكَّنّاهم في الأرض ، أَقاموا الصلاة ، وآتَوا الزكاة ، وأَمَروا بالمعروف ، ونَهَوا عن المنكر ، ولله عاقِبةُ الأمور ﴾ (١) .

---

(١) الآية / ٤١ / من سورة الحج .

٣ ـ الاهتمام بتطبيق الأحكام الشرعية على جميع المستويات الفردية والجماعية ، من إقامة الشعائر الإسلامية ، وتنفيذ الحدود ، والفصل بين الخصومات ، إقامةً لحكم الله في الأرض من جهة ، وتقديماً للنموذج الإسلامي الكامل ، الصالح لكل زمان ومكان ، من جهة أخرى .

٤ ـ مهادنة الأعداء المهادنين والمجاورين ، ومعايشتهم في ضوء نظام واضح يضبط العلاقات ، ويُطلعهم على محاسن الحياة الإسلامية ، ويعكس لهم الصورة الصحيحة المشرقة لها من جهة ، ويدعم استقرار الدولة المسلمة في نشأتها من جهة أخرى .

٥ ـ مجابهة الأعداء المحاربين ، وإرهاب المتربّصين في الداخل والخارج عن طريق السرايا والغزوات ، والإعداد المتواصل لذلك ، قال تعالى :

﴿ وأَعِدّوا لهم مااستطعْتُم من قُوّة ، ومن رِبَاطِ الخيل تُرهبونَ به عدوَّ الله وعدوكم ، وآخَرين من دونهم لاتَعْلَمونَهم ، الله يَعْلَمُهم ، وماتُنْفِقوا من شيء في سبيل الله يُوفَّ إليكم وأنتم لاتُظلمون .. ﴾ [1] .

٦ ـ تحقيق عالَميّة الدعوة الإسلامية عن طريق الانطلاق بها في أكثر من اتجاه ، وعلى أكثر من صعيد ، عن طريق كتابة الرسائل ، وإرسال الرسل ، وبعث البعوث ، واستقبال الوفود ، وما إلى ذلك ...

---

(١) الآية / ٦٠ / من سورة الأنفال .

إلى غير ذلك من ملامح كثيرة يمكن أن يقف عليها المتمعن في سير الدعوة في العهد المدني ...[1]

وأختم حديثي عن الملامح العامة للدعوة في زمن الرسول ﷺ بعدة ملاحظات مفيدة ، ختم بها الأخ الأستاذ محمد منير الغضبان كتابه « المنهج الحركي للسيرة النبوية » فقال :

« وأخيراً ونحن نودع المنهج الحركي للسيرة النبوية ، نود أن نؤكد الخطوة التالية :

١ ـ سمات هذا المنهج في عهدَيْه ، ومراحله المتعددة ، منتزعةٌ من واقع المرحلة ، وارتباط الحلقات بعضها ببعض ، بحيث تمثل في النهاية كلاً متكاملاً يمثل حقيقة المرحلة .

٢ ـ قد تتكرر بعض السمات بين مرحلة وأخرى ، وتكرارُها يعني ديمومةَ هذه السمة ، وأنها تتجاوز المرحليّة لتكون أصلية في خط السير كله أو جُلّه .

٣ ـ والهدف من عرض هذا المنهج الحركي هو : أن تملك الحركة الإسلامية المعاصرة دليلَ عَمَلٍ تسير على ضوئه ، وتبني خطتها على خطاه .

٤ ـ ولكن هذا لايعني ضرورة التوافق والتطابق بين مَرْحليّة الحركة الإسلامية اليوم ، ومَرْحليّتها في السيرة النبوية ، بل تَعْني في معظم الأحيان التشابه والتقارب ، وذلك لاختلاف الظروف

---

(١) راجع كتاب « المجتمع المدني في عهد النبوة » للأستاذ أكرم ضياء العمري ، الصادر عن المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية .

والأشخاص والأشياء بين عالمنا اليوم ، وعالم الدعوة الأولى .

٥ ـ وأهم ماأقمناه من خلال هذا المنهج ، هو : أن يتمكّن الدعاة في الحركة الإسلامية من التفريق بين الأسس الدائمة الثابتة ، وبين الخطوات المرحلية المتدرجة ، وأن لايَضَعوا أحكام مرحلة اكتمال الدين وانتصار الإسلام ، مَحلّ أحكام مرحلة العهد السرّي بفرعيه ، ولو أن الدعاة حين يفاجؤون بواقع معين ، يختارون الشبه المناسب من المرحلة المناسبة ، لكانَ في ظني المنهج قد حقق هدفه الذي كتب من أجله ... الخ »[1] .

* * *

(١) القسم الثالث من كتاب « المنهج الحركي للسيرة النبوية » ص ٢٠٨ .

القسم الثاني :

٢ ـ الدعوة زمن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم :

امتدت الخلافة الراشدة ثلاثين عاماً من وفاته ﷺ عام /١٠/ هـ إلى مقتل علي رضي الله عنه عام /٤٠/ هـ .

فقد بويع أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة إثْر وفاةِ رسول الله ﷺ، وكانت خلافته عامين وثلاثة أشهر وثمانية أيام [١] .

ثم خلفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وطالت خلافته عشر سنين وستة أشهر ونصف شهر [٢] .

ثم خلفه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وطالت خلافته اثني عشر عاماً كاملة غير عشرة أيام [٣] .

ثم خلفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وطالت خلافته خمس سنوات تقريباً [٤] .

وقد جاء في الحديث الشريف عن سفينةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) « جُمَل فتوح الإسلام » لابن حزم ، الرسالة الرابعة المطبوعة مع كتابه « جوامع السير » ص ٣٥٣ ، ط باكستان .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٥٤ .

(٣) المرجع السابق : ص ٣٥٤ .

(٤) المرجع السابق : ص ٣٥٥ .

« خلافةُ النبوة ثلاثون سنة ، ثم يُؤتي الله الملك ، أو ملكه من يشاء »[1] .

وسأعرض في هذا المبحث ، سَيْر الدعوة الإسلامية في هذه الفترة المباركة ، التي تعد في حقيقتها امتداداً لسير الدعوة في زمن رسول الله ﷺ[2] .

فقد استمرت حركة الدعوة الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين تبليغاً للإسلام ، وتعليماً له ، وتطبيقاً لأحكامه في حياة المسلمين ... حتى توسعت دائرة انتشار الإسلام توسعاً كبيراً ، وامتدت رقعة الدولة الإسلامية في عصور الخلفاء الأربعة ، ولاسيما في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، وتوقفت قليلاً في عهد علي رضي الله عنه ، حيث شُغِلَ المسلمون بالأحداث الداخلية والفتن ،

فبعد أن قضى أبو بكر رضي الله عنه على حركة المرتدين ، وقاتل مانعي الزكاة ، وأنفذ جيش أسامة رضي الله عنه ، وأعاد الاستقرار لدولة الإسلام ، بعد أن هددتها هذه الفتن ، استأنف رضي الله عنه حركة الفتوحات الإسلامية ، ووجه الجيوش إلى هنا وهناك ، تحمل دعوة الإسلام للناس ، وتجاهد لإعلاء كلمة الله في الأرض .

---

(١) الحديث رواه أبو داود والترمذي ، وقال عنه : هذا حديث حسن ، انظر سنن أبي داود رقم (٤٦٤٦) و (٤٦٤٧) (٣٦/٥) ط : دار الحديث تعليق الدعاس والسيد ، وانظر سنن الترمذي رقم (٢٣٢٦) في تحفة الأحوذي (٤٧٦/٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨) ط الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف .

(٢) اعتمدتُ في معظم هذه الفترة على كتاب « تاريخ الدعوة ـ الجزء الثاني » للدكتور : جمعة علي الخولي ، الطبعة الأولى .

فوجَّه « خالد بن الوليد » رضي الله عنه إلى أعالي العراق ، وأمره بأن يبدأ « بفرج الهند » وهي (الأبلة) وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عز وجل [1] .

فكتب « خالد » رضي الله عنه إلى « هرمز » حاكم الثغر في جنوب العراق كتاباً دعاه فيه إلى الإسلام أو الجزية أو القتال ، فلم يستجب له ، ودارت معركة على أرض « كاظمة » التي تعرف « بالكويت » حالياً ، عُرفت بمعركة « ذات السلاسل » وانتصر فيها المسلمون ، وقُتل « هرمز » ، وانتشر بعدها الإسلام شرقاً في « إيران » وشمالاً في « العراق » [2] .

ثم انتصر المسلمون على أعدائهم في معركة « النهر » قرب « واسط » وغيرها ، حتى فتحوا « الحيرة » و « الأنبار » في غربي بغداد ، واستمروا في فتوحاتهم ، حتى استدعى أبوبكر رضي الله عنه خالدابن الوليد رضي الله عنه إلى الشام ، تقويةً لجيش المسلمين فيها [3] .

ومضى خالد بن الوليد رضي الله عنه بركبه إلى بلاد الشام ليتابع عملية الفتوحات ، بعد أن ترك في العراق « المثنى بن حارثة » رضي الله عنه ، وجيشه ليتابع المهمة في أراضي العراق ، وخاض خالد رضي الله عنه عدة معارك في بلاد الشام مع « أبي عبيدة بن الجراح » رضي الله عنه ، حتى كانت معركة « اليرموك » الحاسمة التي هزم الأعداء فيها هزيمة منكرة [4] .

---

(١) انظر « البداية والنهاية » (٣٤٢/٦) الطبعة الثانية .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢٤٨/٣) الطبعة الثانية لدار المعارف .

(٣) راجع تفصيل ذلك في كتاب « تاريخ الدعوة » د : جمعة علي الخولي « ٠٧٩/٢ ٠) .

(٤) انظر « فتوح البلدان » ص : (١٤١) .

وفي هذه الأثناء توفي الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فتابع (عمر) هذه الفتوحات ، وأرسل الجيوش إلى العراق ، وكانت معركة « القادسية » عام /١٤/ هـ بقيادة « سعد بن أبي وقاص » رضي الله عنه ، فهزم « رستم » هزيمة ساحقة .

ثم استمر الزحف الإسلامي حتى وصل عاصمة الفرس « المدائن » واستولى المسلمون عليها عام /١٦/ هـ وصلى « سعد » رضي الله عنه مع جُنْده الفاتحين في قصر « كسرى أنوشروان »[١].

ثم تابع المسلمون فتحهم لأراضي العراق ، وهزموا الفرس ، وكان النصر الحاسم لهم في معركة « نهاوند » التي سُميت بـ « فتح الفتوح » على يد « حذيفة بن اليمان » رضي الله عنه . ثم تقدم المسلمون حتى فتحوا « أصْبهان » ومن بعدها « اصطخر » ومدن خراسان ...

واتجهت الجيوش الإسلامية بعد ذلك من إيران إلى بلاد ما وراء النهر ، فجالت في « فارس » وسواحل « الكرمان » ، حتى قاربت بلاد السند ، وصارت البلاد الفارسية كلها في نطاق الدولة الإسلامية .

أما في بلاد الشام ، فقد واصل المسلمون فتحهم لها بقيادة « أبي عبيدة بن الجراح » رضي الله عنه ، فلما انتهوا من فتح « الأردن » واصلوا سيرهم إلى « دمشق » ومنها إلى شمال سورية ، حتى لم يَبْقَ أمامهم في بلاد الشام ، إلا « بيت المقدس » ، فتوجه المسلمون إليه بقيادة « عمرو بن العاص » رضي الله عنه ، فطلب أهلها الصلح على أنْ

---

(١) انظر « فتوح البلدان » ص : (٢٩٩) .

يحضر أمير المؤمنين « عمر » رضي الله عنه ليتسلّم المدينة ، فجاء عمر رضي الله عنه ، وتسلّمها ودخلها وكتب لسكانها أماناً على أموالهم وأنفسهم وشعائر دينهم [١].

وكانت « مِصْر » قد عقدت صلحاً مع « عمرو بن العاص » رضي الله عنه ، وحاولَ أهلها نقضه في عهد « عثمان » رضي الله عنه ، فسار إليهم « عمرو » نفسه وأخضعهم .

ثم امتدت الفتوحات في عهد « عثمان » رضي الله عنه إلى « غرب إفريقية » ، وبلاد ما وراء النهر ، حتى وصل المسلمون إلى « كابل » في أفغانستان ، و « غَزْنة » من بلاد الأتراك [٢] .

كما امتدت إلى « عمورية » و « أذربيجان » وأقصى بلاد « أرمينية » وأجزاء من طبرستان جنوبي بحر قزوين [٣] .

كما شمل الفتح أراضي « النوبة » و « بلاد السودان » في جنوب مصر ، واستخدم المسلمون الأساطيل البحرية في استيلائهم على جزيرة « قبرص » ومعظم جزر البحر الأبيض المتوسط ، وذلك عام /٢٨/ هـ على يد « معاوية بن أبي سفيان » رضي الله عنه [٤].

وقد رافَق هذا الامتدادَ الجغرافي للدعوة الإسلامية في هذا العهد الامتدادُ الفكري ، فدخل معظم أصحاب هذه البلاد المفتوحة في الإسلام ، ورأوا فيه خير منقذ لهم مما هم فيه ، وأفضل مصلح لأحوالهم ،

---

(١) انظر « الخطط » للمقريزي (٤٩٢/٢) ط : ببروت .

(٢) انظر « فتوح البلدان » ص : (٣٩٨) . وصارت (غزنة) من بلاد أفغانستان اليوم.

(٣) انظر « البداية والنهاية » (١٦٩/٧) .

(٤) انظر « فتوح البلدان » ص : (١٥٧ و ١٥٨) و « تاريخ الدعوة » للخولي(٩٣/٢) .

ولم تتوقف الحركة الفكرية الدعوية في هذا العهد يوماً ما ، وإنما نشطت فيه حركة العلم والتعليم ، واجتهد المسلمون في هذه المرحلة في الحفاظ على وحدتهم الثقافية والروحية التي كانت دعامة قوية لهذه الفتوحات ، وكان من أبرز جهودهم الفكرية في هذه المرحلة :

أ ـ حفاظهم على القرآن الكريم وجمعه أولاً في عهد « أبي بكر » رضي الله عنه ، وتوحيد المصاحف ثانياً في عهد « عثمان » رضي الله عنه [1] .

ب ـ حرصُهم على نشر العلم بين المسلمين ، ومحاربتهم الجهل بالإسلام ، فقد نَهلَ المسلمون الجدد من الصحابة الكرام الذين انتشروا في بقاع الأرض ، ولاسيما في عهد « عثمان »[2] رضي الله عنه ، تعاليمَ دينهم ، وانكبوا على حفظ كتاب ربهم ، وسنة نبيهم ﷺ ، وكانت هذه الفترة التاريخية من تاريخ الدعوة أهم الفترات بعد عهد رسول الله ﷺ ، حيث كانت حَلَقة الوصل بينه وبين العهود التالية ...

---

(١) انظر أحاديث جمع القران في زمن أبي بكر رضي الله عنه في « صحيح البخاري » رقم (٤٩٨٦) باب جمع القرآن ، وفي الفتح (٩/ ١٠ ـ ١١) . وأحاديث توحيد المصاحف زمن عثمان رضي الله عنه في « صحيح البخاري » رقم (٤٩٨٧) باب جمع القرآن ، وفي « الفتح » (٩/ ١١) .

(٢) كان (عمر) رضي الله عنه يمنع كبار الصحابة رضوان الله عليهم مِنْ مغادرة المدينة إلا برخصة منه مؤقتة ، نظراً لحاجته الشديدة إليهم في أيام خلافته ، ونظراً إلى الحاجة الراجحة الملحة لتوزّعهم في الأمصار لنقل هذا الإسلام في عهد « عثمان » رضي الله عنه ، وقد توسعت الرقعة الإسلامية توسعاً كبيراً ، أذن (عثمان) رضي الله عنه بذلك لهم . انظر « الفكر السامي » (٢/ ٢٦١) تعليق عبد العزيز القارئ .

لذا ، حرص أعداء الإسلام كثيراً على تشويهها ، واستغلال الأحداث والفتن التي حدثت فيها ، للطعن فيها ، حتى وصل الأمر بكثير من المستشرقين في القرن التاسع عشر إلى أن يفسر هذه الفتوحات الإسلامية تفسيراً مادياً ، ووصف الحروب الإسلامية بأنها حروب اقتصادية كان وراءها البحث عن العيش ووسائله ، إلى غير ذلك من أوصاف تابعهم عليها كثير من المستغربين ...[1]

جـ - بلورة منهج راشدي للتعامل مع المستجدات والمستحدثات بعد عهد النبي ﷺ - كما يفهم من أحاديث جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وعهد عثمان رضي الله عنه.

* * *

وخلاصة هذا المنهج: [أنه ينظر إلى الأمر الجديد المُحدَث من حيث ذاتُه، وخيرٌ هو أو شرٌ؟ فإن ثبتَتَ خيريَّتُه حُكِمَ بجوازه دون نظر إلى أنه فُعِلَ سابقاً، أو لم يُفعَل، وإن ثبتَتَ شريَّتُه حُكِمَ بجوازه دون نظر إلى أنه فُعِل سابقاً أو لم يُفعَل، وإن ثبتت شريَّتُه حُكِمَ بمنعه دون نظر إلى أنه فُعِلَ أو لم يُفعَل.] وهذا منهج غَفَل عنه كثير من العلماء وأهل الفتوى في العصور المتأخرة مع أهميته!!

---

(١) من المستشرقين الذين ردَّدوا هذه الشبهات والدعاوي : « كارل بروكلمان » الألماني في كتابه « تاريخ الشعوب الإسلامية » ، و « فراتر روزنتال » الإسباني في كتابه « إسبانيا الإسلامية » و « فيليب حتي » العربي الأمريكي في « تاريخ العرب العام » ، و « بارتولد » الروسي في كتابه « تركستان من الفتح العربي حتى الفتح المغولي » و « آرمينوس فامبري » المَجَريّ في كتابه « تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر » . وغيرهم ...

ومن العلماء الذين ردوا مثل هذه الشبهات ، وناقشوا هذه الدعاوى بأساليب مختلفة :

١ ـ الشيخ محمد الغزالي في كتابه « مع الله » من ص : (١٠٣ ـ ١٧٢) .

٢ ـ د : جمعة علي الخولي في كتابه « تاريخ الدعوة » (٢/٩٤ ـ ١٠٨) .

٣ ـ د : حسين مؤنس في كتابه « الإسلام الفاتح » ولاسيما من ص : (٥ ـ ٢٨) .

٤ ـ والشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه « الخلفاء الراشدون » من ص :(٦٤ ـ ٧٣) ط : دار الكتب العلمية ، لبنان . وغيرهم كثير .

المبحث الثالث

الدعوة في العهد الأموي ، والعباسي ، والعثماني :

ويتناول هذا البحث عرضاً موجزاً لتاريخ الدعوة الإسلامية في هذه العهود الثلاثة عهداً بعد عهد [1]، بدءاً بالعهد الأموي الذي بدأ عام /٤٠/ هـ بولاية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وانتهى بنهاية ولاية مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ـ رحمه الله ـ وقتله عام /١٣٢/ هـ [2] .

ومروراً بالعهد العباسي الذي بدأ عام /١٣٢/ هـ بولاية أبي العباس عبد الله السفاح ـ رحمه الله ـ وانتهى بسقوط المستعصم بالله ـ رحمه الله ـ عام /٦٥٦/ هـ [3] .

ونهايةً بالعهد العثماني الذي بدأ بتولي الأمير (عثمان بن أرطغرل) ـ رحمه الله تعالى ـ عام /٦٩٨/ هـ الموافق /١٢٩٩/ م بعد زوال دولة السلاجقة بمداهمة المغول ، وانتهى بسقوط الخلافة العثمانية عام /١٣٤٣/ هـ ، الموافق /١٩٢٤/ م [4] .

---

(١) اعتمدتُ في هذا المبحث كثيراً على كتاب « تاريخ الدعوة » للدكتور : جمعة علي الخولي ، لوفائه بكثير مما أردت .

(٢) انظر « جمل فتوح الإسلام » ص/٣٥٦ ـ ٢٦٥/ ، و « تاريخ الأمم الإسلامية » للخضري الدولة الأموية (٢/٩٩) .

(٣) انظر « تاريخ الأمم الإسلامية » الدولة العباسية ص /٤٦ و ٤٨٠ و ٤٨٤/ .

(٤) انظر « تاريخ الدعوة » (٢/١٥٣ و ٢٩٦) و « معالم التاريخ الإسلامي المعاصر » لأنور الجندي ص ٢٦٤ ، مع ملاحظة أن هناك اختلافاً في تحديد بدء الدولة العثمانية بين المؤرخين .

١ ـ ففي العهد الأموي :

تابعت الدعوة الإسلامية امتدادها الجغرافي والفكري على السواء ، « فكان الجنود المسلمون يفتحون كل يوم أرضاً جديدة ، فيعقبهم العلماء بالفقه والتشريع والحديث والتفسير يشرحون الإسلام ، ويعلمون الناسَ قضاياه ، وقد تفرَّق هؤلاء في جميع أنحاء المملكة الإسلامية ، فهذا يرحل إلى مصر ، وذاك إلى الكوفة ، وثالث إلى الشام ، ورابع إلى إفريقية ... وهكذا .

فنتج عن ذلك حركةٌ علمية في كل بلد نزلوا فيها ، وتكونت مدارس العلم وحلقاته في كل مكان حتى أحدث ذلك حركة علمية سيطرت على الساحة الإسلامية كلها ، وربطت بين أبناء الحضارة الإسلامية برباط واحد ، ولقد نجح الإسلام في إذابة النعرات الجنسية والفوارق بين الأجناس ، وفي إنشاء كيان موحد تنمحي فيه الثارات ، وتقدم المسلمون عرباً وعجماً يخدمون دعوتهم ، ويبنون دولتهم ، وأصبح الموالي في البلاد المفتوحة يضارعون العرب الأقحاح ، ويبزونهم في التفوق العلمي ... »[1] .

ولم يخل الأمر من أناس حنقوا على الإسلام ، وتآمروا عليه ، لأنه أزال ملكهم ، وقوَّض دولتهم ، الأمر الذي ولَّد في التاريخ الإسلامي مايسمى (بالشعوبية) التي أساءت إلى الوحدة الإسلامية [2] .

كما نشأت بعض الفرق الضالة في هذا العصر ، كالقدرية والمرجئة وغيرها ، وتصدى لها علماء المسلمين ،

---

(١) انظر « تاريخ الدعوة » (١٢١/٢) .

(٢) انظر « تاريخ الدعوة » (١٢٣/٢) .

ولم تكن الدعوة الإسلامية في هذا العهد محصورة بأناس مُعيَّنين ، ولا دعاة مخصوصين ، وإنما كان كل فرد في الأمة تقريباً يشعر بواجب الدعوة عليه ، فيعمل على نشر الإسلام وتمكينه في الأرض .

وانتشرت في الأمة حلقات العلم والتعليم ، وأقبل الناس على العلماء والقصاص والوعاظ ، واشتهر من العلماء كثير من أمثال « الحسن البصري » ـ رضي الله عنه ـ وغيره من كبار التابعين .

كما اشتهر من القصاص والوعاظ أمثال : عبيد بن عمرو الليثي ، ومسلم بن جُنْدب الهذلي ، وسُلَيْم بن عِتْر التُّجِيبي وكان الوعظ والقصص على مستوى عالٍ من العلم والانضباط ، ثم ضعف أمره ، وتصدى له الجهلة ، يقول الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله :

« كان الوعاظ من قديم الزمان من العلماء الفقهاء ، وقد حضر عبد الله بن عمر رضي الله عنه مجلس (عبيد بن عمير) وكان عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه يحضر مجلس القاصّ مع العامة بعد الصلاة ، ويرفع يديه إذا رفع ، حتى إذا خَسَّت هذه الصناعة ، تعرض لها الجهال ، فأعرض عن الحضور المميزون من الناس ، وتعلق بهم العوام ، فلم يتشاغلوا بالعلم ، وأقبلوا على القصص ومايعجب الجهلة »[1] .

كما نشطت الحركة العلمية اللغوية في هذا العهد حفاظاً على لغة القرآن الكريم من التأثر باللغات الأخرى ، وانتشار اللحن بسبب الخلطة بالعجم ، وكان من أبرز هذه الأنشطة ، وضع أبي الأسود الدؤلي ـ رحمه الله ـ لحركات وسكنات المصحف الشريف .

---

(١) انظر « كتاب القصاص والمذكرين » لابن الجوزي ص (٢٢) .

وذكر في سبب ذلك : أن أبا الأسود سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى : ﴿ واعلموا أن الله بريءٌ من المشركين ورَسولُه ﴾ قرأها بكسر اللام ، فأزعجه ذلك وقال : عَزَّ وجه الله أن يبرأ من رسوله ، ثم عرض الأمر على « زياد » والي البصرة ، فطلب منه أن يضع هذه الحركات والسكنات [1] .

كما عظمت في هذا العهد العناية بالحديث النبوي ، رواية ودراسة ، وجمعاً وتدويناً ، ورحلةً في طلبه ، حتى حفظ المسلمون بذلك المصدرين الأساسيين للشريعة « الكتاب والسنة » ، إلى غير ذلك من أنشطة علمية وفكرية ...

هذا عن الامتداد الفكري والعلمي ، أما عن الامتداد الجغرافي وتوسع الفتوحات ، فقد امتدت الدعوة الإسلامية في هذا العهد في ميادين ثلاثة :

١ ـ في آسيا الصغرى وفي بلاد الروم :

فقد تقدم الأمويون من عاصمتهم « دمشق » لتأمين الثغور الإسلامية ونشر الإسلام في جزر البحر الأبيض المتوسط ، واستخدموا في ذلك أسطولاً ضخماً عدته /١٧٠٠/ سفينة ، فاستولوا على كثير منها . ثم تقدموا نحو القسطنطينية ، وحاصروها سبع سنوات دون أن يتمكنوا من فتحها [2] .

---

(١) انظر « تاريخ توثيق نص القرآن الكريم » لخالد العك ص ١١٣ ، و « تاريخ الدعوة » (١٣١/٢) .

(٢) انظر « تاريخ الدعوة » (١٤١/٢) .

٢ ـ في شمال إفريقية والأندلس :

واصل « عقبة بن نافع » رضي الله عنه نشاطه في زمن الخليفة (عثمان بن عفان) رضي الله عنه ، حتى خضعت له (طرابلس الغرب) ، ثم سار جنوباً حتى وصل إلى بلاد السودان ، واستمر حتى أنشأ مدينة « القيروان » عام /٥٠/ هـ وجعلها مركزاً أساسياً [١] . ثم تابع نشاطه حتى وصل إلى ساحل المحيط الأطلسي واستشهد هناك .

ثم فتح « موسى بن نصير » ـ رحمه الله تعالى ـ (طنجة) ، وخضعت له مدينة (سَبْتة) على الساحل الإفريقي ، وفي عهد (عمر ابن عبد العزيز) رحمه الله تعالى ، انتشرت الدعوة الإسلامية ، واللغة العربية بين البربر ، ورتَّبَ عمر رضي الله عنه لذلك عشرة فقهاء من أعيان التابعين عام /١٠٠/ هـ ، فانتشروا في أنحاء الولاية ، وأقبل الناس على الإسلام إقبالاً كبيراً ...

كما تابع « موسى بن نصير » طريقه إلى بلاد الأندلس ، وأصبحت « قرطبة ، وغرناطة ، وطليطلة » وغيرها معاقل للمسلمين ، أقاموا فيها حضارة علمية وثقافية وعمرانية استمرت أكثر من ثمانية قرون .

كما واصل المسلمون فتحهم حتى وصلوا إلى « فرنسا » قريباً من باريس في عهد (عبد الرحمن الغافقي) ـ رحمه الله تعالى ـ عام /١١٢/ هـ . وكانت معركة « بلاط الشهداء عام /١١٤/ هـ التي استشهد فيها عبد الرحمن ، وتراجع فيها جيشه بعد صراع طويل [٢] .

---

(١) انظر « فتوح البلدان » ص (٢٣٠) و « تاريخ الطبري » (٧٨/٤) و « تاريخ الدعوة » (١٤٢/٢) .

(٢) انظر « المجمل في تاريخ الأندلس » ص (٥٨ ـ ٦٠) و « تاريخ الدعوة » (١٤٣/٢) .

٣ ـ في السِّند وما وراء النهر :

سلكت حركة الدعوة الإسلامية في هذا الميدان خطين :

أ ـ في الشمال الشرقي : حيث بلاد ما وراء النهر ، أو مابين النهرين (جيحون وسيحون) فقد واصل المسلمون الفتح على يد « عبيد ابن زياد بن أبيه ، وقتيبة بن مسلم » وغيرهم ، واستطاع (قتيبةُ) أن يواصل فتوحاته حتى عَمَّت جميع البلاد الواقعة بين النهرين ، وحطم هناك الأصنام وحرقها ، ودخل على يده كثير من الناس في الإسلام . ودخل (كاشغر) بالصين [١] .

ب ـ في الجنوب الشرقي مِنْ جبهة السند : حيث اتجه « محمد بن القاسم الثقفي » ـ رحمه الله تعالى ـ إلى هذه البلاد عن طريق البر والبحر ، وانتصر على الملك « داهر » وواصل طريقه إلى « كشمير » في شمال السند [٢].

٢ ـ وفي العهد العباسي :

كانت الدعوة الإسلامية قوية في العصر الأول من هذا العهد ، ثم ضعفت بضعف الخلافة فيه في العصر الثاني ، وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم العهد العباسي إلى عصرين :

الأول : من عام (١٣٢ هـ ـ ٤٤٧ هـ) .

الثاني : من عام (٤٤٧ هـ ـ ٦٥٦ هـ) .

---

(١) انظر « فتوح البلدان » ص : (٤١١) ، و « تاريخ الدعوة » (١٤٤/٢) .

(٢) انظر « فتوح البلدان » ص : (١٢٣ ...) ، و « تاريخ الدعوة » (١٤٥/٢) .

إلا أن هذا الضعف على المستوى الرسمي لم يؤثر كثيراً على الدعوة في المستوى الشعبي ، حيث قام العلماء والدعاة بواجبهم ، فلم تنقطع حلقات العلم والتعليم والوعظ ، ولم تتوقف حركة الرواية والتصنيف ...

وكان إقبال الناس على العلماء كبيراً ، حيث قيض الله لهم في هذا العهد أمثال الأئمة الأربعة ، وابن المبارك وسفيان الثوري ـ رحمهم الله تعالى ـ وغيرهم كثير ممن نشطت على أيديهم حركة الفقه والاستنباط التي استوعبت حياة المسلمين ومتطلبات عصرهم المتطورة ،

كما كان منهم أمثال الإمام البخاري والإمام مسلم ، وأصحاب السنن الأربعة ... كما كان منهم كثير من علماء السيرة والتاريخ واللغة ...[1]

وذخرت مساجد بغداد والبصرة والكوفة بكثير من العلماء والوعاظ والزهاد الذين كان لهم أكبر الأثر في إشاعة الإيمان والعلم ، والوقوف أمام التيار الجارف من المجون والترف الذي دخل في حياة المسلمين .

أما الامتداد الجغرافي في هذا العهد : فقد كاد يتوقف نظراً لما انتاب الجبهة الداخلية من تفسخ وتمزق ، مما صرف الخلفاء العباسيين عن متابعة الفتوحات .

فقد اهتم الخلفاء في المرحلة الأولى بالاحتفاظ بالرقعة الإسلامية الكبرى التي وصل إليها الإسلام ، وبتأمين حدودها ، وصَدّ الغارات عليها ، فأقاموا حملاتٍ منظمة في الصيف والشتاء على حدود الدولة ، إظهاراً للقوة وإرهاباً للعدو ، عرفت بنظام (الصوائف والشواتي) .

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١٥٦/١٠) ، و « سِيَر أعلام النبلاء » (٣٨٤/٨) ، و « تاريخ الدعوة » (١٥٢/٢) .

ويُمثِّلُ عهد (المنصور ، والمهدي ، والرشيد ، والمعتصم وغيرهم من خلفاء العصر الأول) عهدَ القوة والظهور ، كما يمثل عهد من بعدهم في العصر الثاني عهد الضعْف والاسترخاء ، حيث عَمَّ البذخ والترف على المستوى الرسمي .

وكان من فضل الله عز وجل على هذه الأمة ، أن بقيت الدعوة قوية نشطة في الجانب الفكري العلمي ، فانطلق الدعاة والعلماء في مهمتهم ، حتى أسلم في هذا العهد ثلث الهند ، وجمهور كبير من أهل الصين [1] .

وإن أي نظرة فاحصة متتبعة لكتب السير والتراجم لتؤكد هذا المعنى ، وتبرز هذا الجانب المشرق في هذا العهد .

٣ ـ وفي العهد العثماني :

تابعت الخلافة العثمانية مسيرة الدعوة الإسلامية ، وكانت قوية في مبدئها ، ثم دبَّ فيها الضعف بضعف الخلافة الإسلامية ...

فقد بيَّنَ مؤسسها الأمير « عثمان بن أرطغرل » ـ رحمه الله تعالى ـ في وصيته لابنه (أورخان) غايةَ قيام هذه الدولة الفتية ، فقال في وصيته :

« يابني : إياك أن تشتغل بشيء لم يأمر به الله رب العالمين ، وإذا واجهتك في الحكم معضلةٌ فاتخذ من مشورة علماء الدين موئلاً ،

يابني : أحِط من أطاعك بالإعزاز ، وأنْعِم على الجنود ، ولا يَغرَّنَكَ الشيطان بجندك ومالك ، وإياك أن تبتعد عن أهل الشريعة ،

---

(١) انظر « تاريخ الدعوة » (١٥١/٢) .

يابني : إنك تعلم أن غايتنا هي : إرضاء الله رب العالمين ، وأن بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق ، فتحدث مرضاةُ الله جلّ جلاله ،

يابني : لسنّا من هؤلاء الذين يقيمون الحرب لشهوة حكم أو سيطرة أفراد ، فنحن بالإسلام نحيا ، وللإسلام نموت ، وهذا ياولدي ماأنت أهل له » [1] .

وهكذا قامت هذه الدولة على أساس الإسلام ، وعملت لإعلاء كلمة الله في الأرض حتى بلغت أوج قوتها في عهد (محمد الفاتح) ـ رحمه الله تعالى ـ عام /٨٥٥ هـ ـ ١٤٥١ م/ حيث استأنف رحمه الله المدّ الإسلامي ، وفتح القسطنطينية عام /٨٥٧/ هـ ، وشبه جزيرة المورة ، وبلاد ألبانيا إلى حدود البندقية ، حتى صار البحر الأحمر والأبيض والأسود بحيرات إسلامية تقريباً .

ولم يأت القرن العاشر إلا والدولة العثمانية تضم تحت لوائها العالم العربي والإسلامي ، وآسيا الصغرى ، ومقدونيا وصوفيا ، وسالونيك ، وجميع القسم الشمالي من اليونان ، وأغلب بلاد البلقان ، ووضع المسلمون أقدامهم على بحر (الإيدراتيك) .

كما استولت على « بلجراد » عام /١٥٢١/ م في عهد سليمان ابن السلطان سليم ، وعلى « رودس » عام /١٥٢٢/ م ، وحاصر سليمان « فينّا » ثم تراجع عنها ، كما انتصر على « المجر » ودخل « بودابست » عام /٩٥٠/ م .

وصارت المدفعية العثمانية عام /١٧٠٠/ م أقوى مدفعية في

---

(١) انظرها مترجمة في كتاب « العثمانيون في التاريخ والحضارة » للدكتور محمد حرب ص ١٦ الطبعة الأولى نشر دار القلم .

العالم ، وظل الأسطول العثماني حتى سنة /١٨٦٦/ م هو الأسطول الثالث في العالم قوةً بعد الأسطولين الانجليزي والفرنسي .

ومع بداية القرن الحادي عشر الهجري أي (منتصف القرن السادس عشر الميلادي) تجمعت عوامل عدة أوقفت تقدم العثمانيين ، وجعلت سلطانهم يتقلص حتى انهار في النهاية ،

ويرى بعض الباحثين أن أهم هذه العوامل هي :

١ ـ عدم مواكبة الحركة العلمية والثقافية للفتح العثماني في نشر علوم الدين واللغة بين أهل البلاد المفتوحة ، فلم يُعنَ العثمانيون بذلك ، كما لم يُعنوا العناية الكافية باللغة العربية لغة القرآن الكريم ، مما جعل بين الناس وبين المصادر الإسلامية الأساسية فجوة كبيرة ، انتشرت من خلالها البدع والخرافات ، وأبعدت الناس عن المنهج الإسلامي الصحيح .

٢ ـ شيوع كثير من الانحرافات والفساد في الجبهة الداخلية ، كفساد الإدارة ، وانتشار السرقات ، وذيوع الرشوة ...

٣ ـ سيادة الاستبداد والحكم الفردي ، وغياب الشورى ، ...

٤ ـ التخطيط الصليبي والصهيوني لضرب الإسلام والمسلمين في أعظم مؤسساتهم الدعوية وهي « الدولة » ونظام « الخلافة » مستفيدين من ضعف المسلمين ، فظهرت القوميات المتنوعة التي ساعدت على الانهيار ...

وعلى الرغم من حرص السلطان (عبد الحميد) ـ رحمه الله تعالى ـ على بث روح الحياة من جديد ، إلا أن الأخطاء الكبيرة المتراكمة أبطلت مفعول المحاولة ، وهبطت بالأمة إلى القاع ، وسَهُلتْ على دول الاستعمار

التوثب والسَيْطرة على ممتلكات الخلافة في كل مكان ...[1]

ولايعني هذا الضعف توقف الدعوة كلياً في الجانب الفكري والعلمي ، فقد كان للعثمانيين جهودهم الكبيرة في مجالات العلم والتعليم والاقتصاد ... وظهر فيهم عدد كبير من العلماء في مختلف العلوم الإسلامية تابعوا مسيرة الحركة الدعوية الفكرية ، وها هي المكتبات الإسلامية الكثيرة في تركيا وغيرها حافلة بتراثهم وتصنيفاتهم ...

كما ظهر في الدولة العثمانية دعاة مصلحون ، حاولوا الإصلاح ، وأنذروا الناس بين حين وآخر ، وحفظوا على الناس دينهم بالقدر الذي أمكنهم ، ولازلنا نحن المسلمين نجهل كثيراً من تاريخهم وأخبارهم ...

ولا أنسى في نهاية الحديث عن العهد العثماني أن أشير إلى ماحدث من تشويه كبير مُتَعَمَّدٍ لتاريخ هذا العهد ، وذلك على أيدي أعداء الإسلام في العصر الحديث ، ولاسيما من قبل المستشرقين والمستغربين الذين حقدوا على الحركة الجهادية في عهد العثمانيين التي دكت حصونهم وهددت وجودهم ، مما يجعلنا نؤكد على ضرورة التحفظ في قراءة تاريخهم ، والاكتفاء بالمصادر الموثوقة في ذلك . وقد بدأت والحمد لله كتابات جديدة مفيدة تجلّي جانباً من تاريخهم المجيد على الرغم من الاعتراف بالأخطاء والضعف [2] .

---

(١) انظر « تاريخ الدعوة » (٢/١٥٤ ـ ١٥٧) .

(٢) من أنفع ماوقفت عليه في ذلك كتاب « العثمانيون في التاريخ والحضارة » للدكتور : محمد حرب ، المتخصص في هذا المجال ، وهو كتاب زاد على / ٤٥٠/ صفحة ، عرض فيه المؤلف جوانب هامة في تاريخهم ، وناقش كثيراً من الأخطاء والشبهات حوله ، جزى الله مؤلفه خيراً .

المبحث الرابع

الدعوة في العصر الحديث :

ويبدأ من سقوط الخلافة عام (١٩٢٤ م) إلى يومنا هذا ...[١]

تصعب الكتابة في تاريخ الدعوة في العصر الحديث نظراً لتشتت المعلومات في ذلك ، وتعدد الميادين والمجالات الدعوية من جهة ، ونظراً لعدم توفر دراسات متخصصة شاملة لهذا العصر من جهة أخرى [٢] .

وذلك لأن تاريخ الدعوة يشمل تاريخ كل حركة دعوية : فردية أو جماعية ، رسمية أو شعبية ، تبليغية أو تعليمية ، أو تطبيقية ، سواء كانت هذه الحركة في بلاد العرب أو بلاد العجم من بلاد المسلمين ، أو كانت نشاطات دعوية في البلاد الإسلامية وغيرها ... وهذا ميدان فسيحٌ واسع تصعب الإحاطة به .

---

(١) تختلف آراء المؤرخين في تحديد مبدأ العصر الحديث في التاريخ الإسلامي ، تبعاً لنظراتهم التاريخية ، وقد اخترت في هذا المقام هذا التحديد ، انسجاماً مع طبيعة الموضوع ، إذ أن سقوط الخلافة الإسلامية يُعدُّ ملمحاً أساسياً في تاريخ الدعوة ، وحَدَثاً هاماً من أحداثها يميز الفترة اللاحقة عن السابقة من أوجه عديدة .

(٢) يستفاد في هذا المجال من أمثال كتاب : « معالم التاريخ الإسلامي المعاصر » من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية ظهرت خلال القرن الرابع عشر الهجري للأستاذ أنور الجندي ، توزيع دار الإصلاح للطبع والنشر ، وكتاب « واقعنا المعاصر » للأستاذ محمد قطب ، نشر مؤسسة المدينة للصحافة ، وكتاب « رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر » للأستاذ محمد قطب ، نشر « دار الوطن » ، وكتاب « حركة الجامعة الإسلامية » لأحمد فهد بركات الشوابكة ، نشر مكتبة المنار ـ عمان .

فقد تناول بعض الكاتبين في تاريخ الدعوة تاريخ داعية من دعاة هذا العصر ، كما كتب بعضهم عن الإمام حسن البنا ، والمودودي وغيرهما من الدعاة الموزعين في العالم الإسلامي ، وتناول آخرون تاريخ حركةٍ من الحركات الدعوية ، أو جماعة من الجماعات الإسلامية ، كما كتب بعضهم عن حركة الإخوان المسلمين ، وحركة الجماعة الإسلامية وغيرها من الحركات الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي . وتناول آخرون تاريخ الدعوة في قطر من أقطار العالم الإسلامي بوجه عام ، كما فعل بعضهم في الكتابة عن الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية [1] ، وآخرون عن الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الإفريقي [2] ، وغيرهم كثير ...

ولايمكن لكتابة من هذه الكتابات السابقة أن ترسم صورة كاملة لحركة الدعوة في هذا العصر ، وإنما يمكن لمجموعها متكاملة أن تحقق شيئاً من ذلك .

لذا ، رأيت الاكتفاء في هذا المدخل ـ بعد عرض هذه المشكلة ـ بالوقوف على بعض الملامح العامة للدعوة في هذا العصر ، والإشارة إلى بعض المعالم البارزة والدروس والعبر من واقع الحركة الدعوية فيه .

ومن هذه الملامح والمعالم والدروس :

١ ـ لم تتوقف حركة الدعوة الإسلامية في هذا العصر ، سواء على نطاق التبليغ والنشر للإسلام ، أو على نطاق تعليمه وتبيينه للناس ،

---

(١) الكتاب للدكتور : محيي الدين الألوائي ، نشر دار القلم ، دمشق .

(٢) الكتاب للدكتور : علي الشيخ أحمد أبوبكر ، نشر دار « أمية للنشر والتوزيع » الرياض .

أو على نطاق تطبيقه في الحياة الشخصية والحياة العامة ... وذلك على الرغم من الصدمة الكبرى التي أصيبت بها الدعوة الإسلامية بسقوط الخلافة الإسلامية على أيدي أعداء المسلمين ، وتوزع الأمة بعدها إلى دويلات متعددة ، وتداعي الأمم الاستعمارية عليها ... وإن كانت هذه الحركة تتفاوت قوةً وضعفاً من مكان إلى مكان ، وزمن إلى آخر ،

فإن الله عز وجل الذي وعد بحفظ هذا القرآن ، وإظهار هذا الدين ، هيأ له دعاةً عاملين ، وعلماءَ ربانيين قاموا بواجب الدعوة ، فحفظوا على الناس دينهم ، وأيقظوا كثيراً من الغافلين من سباتهم ، ولاقوا في سبيل ذلك مالاقوا من عذاب وتشتيت وتقتيل ، فصبروا وصابروا ...

٢ ـ تنوعت أشكال الحركة الدعوية في هذا العصر تنوعاً كبيراً ، فكان منها الحركات الفردية التي قامت على أيدي العلماء الربانيين ، والدعاة العاملين المنتشرين هنا وهناك ، كما كان منها الحركات الجماعية التي اتخذت شكل المنظمات والجماعات التنظيمية ، وتنوعت هذه المنظمات والجماعات إلى منظماتٍ شعبيةٍ أسّسها أفراد عاملون من أبناء هذه الأمة ، ومنظماتٍ رسمية انبثقت عن الدول الإسلامية القائمة ، ولاسيما التي لم يدخل إلى بلادها الاستعمار مباشرة ، فقد ساهمت هذه الحركات جميعها في تسيير موكب الدعوة هنا وهناك ، حتى لايكاد يخلو قطر من أقطار المسلمين من مثل هذه الحركات ...

٣ ـ كما تنوعت مناهج وأساليب هذه الحركات الدعوية ، فكان منها دعوات شاملة وأخرى جزئية ، كما كان منها المنظمات التربوية والتبليغية والفكرية والسياسية وما إلى ذلك ... مما جعل بعض هذه الجماعات يركز على جانب أكثر من غيره ، كما جعل كل جماعة تختار من المناهج والأساليب الدعوية مايتناسب مع طبيعتها وأهدافها ... وجعل الناس المهتمين بالدعوة يتوزعون بين هذه الجماعات كل بحسب اهتماماته واستعداداته وإمكاناته من جهة ، وتبعاً للظروف العامة والخاصة التي أحاطت بهذه الجماعات والمنظمات من جهة أخرى .

وقد كان لهذا التنوع والتعدد بعض الإيجابيات في العمل الإسلامي ، ولم يخل الأمر كذلك من كثير من السلبيات [١] .

٤ ـ وقعت كثير من هذه الحركات الدعوية : الفردية والجماعية في أخطاء عملية عديدة ، وبأسباب متنوعة : داخلية وخارجية ، أضرّت بالعمل الإسلامي كثيراً ، وأفقدت بعض الحركات والجماعات حيويّتها ومصداقيتها عند كثير من الناس ، وجعلتها تعيش في عزلة نسبية عن ميادينها الحقيقية ، وكان من أبرز هذه الأخطاء : التقوقع على الذات ، والتعجل بالخطوات ، والانفراد بالقرارات العامة الهامة ، والتجاوب مع الاستفزازات ، والوقوع في شباك الاحتواءات ، وما إلى ذلك من أخطاء لايزال كثير منها يتكرر

---

(١) أشرتُ في كتابي « وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع » إلى عدد من هذه الإيجابيات والسلبيات ، وبينت طريقة معالجة تلك السلبيات ، فليرجع إليه من شاء .

في ساحات العمل الإسلامي دون أن يفيد العاملون من تجارب غيرهم ، ويتجنبوا أخطاءهم ...

٥ ـ كما أصيب كثير من العاملين في صفوف الدعوة على مختلف مستوياتهم بالمهلكات الثلاث أو بعضها ، التي لايُجدي معها قول ولا حركة ، وتُعدُّ من أخطر الأمراض الجماعية والاجتماعية ، وقد حذر منها رسول الله ﷺ بأساليب متعددة ، فقال :

« ... حتى إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً ، وهَوى مُتَّبعاً ، ودُنيا مُؤْثَرة ، وإعجابَ كل ذي رَأيٍ برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوامّ ... » [1] .

حتى وصل الأمر إلى أنك إذا وجدت من سَلِمَ من واحدة منهن أو اثنتين ، فقلما تجد من يسلم من الثالثة وهي « الإعجاب بالرأي » .

٦ ـ واجهت هذه الحركات الدعوية : الفردية والجماعية على مختلف أشكالها تحدياتٍ صعبةً وهجماتٍ شرسةً من قبل الأعداء المتربصين بها ، الذين عملوا على إسقاط الخلافة وخططوا للقضاء على الإسلام والمسلمين ، فسادَ الأمةَ الإسلامية أشكالٌ من الغزو العسكري والسياسي والاقتصادي والفكري والاجتماعي ، مما وسَّع على العمل الدعوي المشكلة ، وعدَّد أمامه الجبهات ، وأدخل الحركات الإسلامية في صراعات متعددة لا قِبَلَ لها بها ، وذلك لغفلة من الدعاة عن تخطيط أعدائهم ، وضعفٍ في استعداداتهم ،

---

(١) الحديث رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وغيرهم بألفاظ متقاربة ، وقال عنه : حَسَنٌ غريب ، انظر « سنن الترمذي »(٢٢٢/٨) ورقم (٣٠٦٠) الطبعة الحمصية ، وانظر « سنن ابن ماجه » (١٣٣١/٢) « وسنن أبي داود » (٢١٣/٤) .

وتفرق صَفّهم ، مما أضعف أثر دعوتهم في حياة الأمة ، وجَرّهم إلى مِحَنٍ متوالية لا حصر لها ...

٧ ـ على الرغم من صعوبة التحديات التي واجهتها الدعوة في هذا العصر ، وتعدد الجبهات أمامها من جهة ، وعلى الرغم من أخطاء كثير من الدعاة والمصلحين من جهة أخرى ، خَلّف العمل الإسلامي نتائج هامة ، وآثاراً كبيرة على بعض المستويات وفي مختلف الميادين ، تصلح أساساً قوياً للنهوض بالأمة الإسلامية ، وتصحيح مسار الحركة الدعوية ، إذا ما دُرِسَت هذه التجارب دراسة وافية ، وتعاون العاملون والمصلحون فيما بينهم على تصحيح الأخطاء ، وتطوير أساليب العمل بما يتناسب وعصرهم ، ويوازن بين إمكاناتهم وواجباتهم ...

٨ ـ استطاع الأعداء غزوَ الأمة في عُقر دارها عن طريقين أساسيين :

أ ـ عن طريق إفساد نخبة من أبنائها الذي وفدوا ، أو ابتعثوا إلى الغرب أو الشرق ، فحمل كثير من هؤلاء سموم أعدائهم ، وشبهات المستشرقين حول إسلامهم ، وعادوا وقد صُنِعُوا على أعينهم ليكونوا في مراكز القيادة والتوجيه ...

ب ـ وعن طريق ركائز محلّية ربّاها الاستعمار في بلاد المسلمين تربية خاصة ، ليكونوا خلفاً لهم بعد جلائهم أو إخراجهم ، وخططوا لهم ، وتابعوا دعمهم وتأييدهم ، وتبادلوا المصالح فيما بينهم ...

ففعل هؤلاء وأولئك في بلاد المسلمين مالم يفعله المستعمرون الأصليون ، والأعداء المكشوفون ... ولاقت الدعوة الإسلامية

في مواجهة هؤلاء مالم تلقه في مواجهة كثير من المستعمرين أيام استعمارهم !

٩ ـ ومع كل ذلك ، فإن مشكلة الدعوة الإسلامية اليوم مشكلةٌ داخلية ذاتية ، قبل أن تكون مشكلة خارجية ، لأن عداء غير المسلمين للإسلام سنة ثابتة ، وتتلخص المشكلة الداخلية في ثلاثة أمور :

أ ـ القصور في المناهج ،

ب ـ الأخطاء في الأساليب .

حـ ـ الضعف في الوسائل .

وإذا عولج قصور المناهج بالتخطيط السليم المتوازن ، وصُحِّحت الأساليب الدعوية ، واختير منها ما يصلح لكل موقف ، وقويت وسائل الدعوة المعنوية والمادية ، لم يقف أمام الدعوة الإسلامية عدو مهما كانت قوته ، أو عظم مكره ... وسيأتي معنا في بحث المناهج والأساليب والوسائل ما يوضح هذا الأمر ـ إن شاء الله ـ

١٠ ـ إن حاضر العالم الإسلامي اليوم يحمل بين طيّاته بشائر النصر الإلهي للدعوة الإسلامية ، وذلك إذا وعى المسلمون واقعهم ، وعملوا وصبروا وصابروا في طريق دعوتهم ... ولعل أهم هذه الخطوط التي يمكن أن تعين في محاولة استخلاص صورة مبشرة بالمستقبل ، ما حَدَّده الأستاذ : محمد قطب ـ حفظه الله ـ في كتابه : « رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر » . وهو :

أ ـ انهيار الشيوعية .

ب ـ عوامل التفسّخ في المجتمعات المعاصرة .

جـ ـ الكتل المتصارعة داخل المعسكر الجاهلي .

د ـ الصحوة الإسلامية .

وقد تحدث عن هذه الخطوط حديثاً مفصلاً يَحسُن الرجوع إليه [1] .

١١ ـ وإذا كانت تلك الخطوط السابقة مبشراتٍ بنصر الدعوة الإسلامية ، فإن في كتاب الله العزيز الحكيم ، وسنة نبيه الكريم وعوداً صادقة مشروطةً لايمكن أن تتخلف أبداً ،

من ذلك قوله تعالى :

﴿ هو الذي أُرسَلَ رسولَه بالهُدى ودينِ الحَقِّ ، ليُظْهِرَه على الدين كُلِّه ، ولو كَرِهَ المشركون ﴾ [2] .

﴿ هو الذي أُرسَل رسولَه بالهُدى ودينِ الحَقِّ ، ليُظْهِرَه على الدين كُلِّه وكفى بالله شهيداً ﴾ [3] .

وقوله تعالى :

﴿ ... وإنْ تَصْبِروا وتَتَّقوا ، لايَضُرُّكم كيدُهم شيئاً ، إن الله بما يَعْملون محيط ﴾ [4] .

وقوله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منْكم ، وعَمِلوا الصالحات ليَسْتخلفَنَّهم في الأرض كما استَخْلفَ الذين من قَبْلهم ،

---

(١) « رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر » ص : (٢٠٣ ـ ٢٥١) .

(٢) الآية / ٣٣ / من سورة التوبة ، والآية / ٩ / من سورة الصف .

(٣) الآية / ٢٨ / من سورة الفتح .

(٤) الآية / ١٢٠ / من سورة آل عمران .

ولَيُمكنَنَّ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم ، ولَيُبَدِّلَنَّهم من بعد خَوْفهم أَمْناً ، يَعبدونَني لايُشركون بي شيئاً ، ومَنْ كَفَر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم تُرحمون * لاتَحسَبنَّ الذين كفروا مُعْجِزين في الأرض ، ومأواهم النارُ ولبِئْسَ المصير ﴾ (١) .

وجاء في الحديث الشريف :

« لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهودَ ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يامسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ، إلا الغَرْقد ، فإنه من شجر اليهود »(٢) .

وجاء في الحديث الآخر :

« تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون مُلكاً عاضّاً ، فيكون ماشاء أن يكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون مُلكاً جَبْرية ، فتكون ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت ... »(٣) .

---

(١) الآية / ٥٥ ـ ٥٧ / من سورة النور .

(٢) الحديث رواه البخاري ومسلم بألفاظ متقاوته ، وهذا لفظ مسلم ، انظر شرح مسلم للنووي المجلد (٦/٤٤ ـ ٤٥) وانظر صحيح البخاري مع الفتح رقم (٢٩٢٦)(٦/١٠٣) .

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في « المسند » (٤/٢٧٣) ، وذكره في « مجمع الزوائد » =

إلى غير ذلك من ملامح ومعالم ودروس وعبر يستخلصها المتتبع لتاريخ الدعوة في هذا العصر [1].

* * *

= (٥/١٨٨ ـ ١٨٩) ثم قال : « رواه أحمد في ترجمة النعمان ، والبزار أتم منه ، والطبراني ببعضه في الأوسط ، ورجاله ثقات » .

(١) راجع رسالة « الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمي » للشيخ عبد الله علوان ، نشر دار الإسلام .